فتح
المجلة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)
العدد 602 تشرين ثاني2009

الملف

السودان في مواجهة المشاريع المعادية
بؤر التوتر الست ... ورابطها الجنوبي

Institute for Palestine Studies
The Library
Discarded

جامعة بيرزيت
المكتبة
19 -04- 2012
Library
BIRZEIT UNIVERSITY

الكيان الصهيوني والتحولات...

المعادلة ومفارقاتها

Digitized by Birzeit University Library

المكتبة
19 -04- 2012
Library
BIRZEIT UNIVERSITY

فتح

المجلة المركزية
لحركة التحرير الوطني الفلسطيني
(فتح)

www.fatehmagazine.com
E-Mail : aljlil@tarassul.sy
fmint65@yahoo.com
fmint65@hotmail.com

رئيس التحرير : مأمون كيوان
مدير التحرير : علي محمد
المسؤول الإداري : محمد الجرادات
الإخراج الفني : صلاح الحسني

مكتب
دمشق - مهاجرين - روضة - جادة التوخي
هاتف (3313797) (3326134)
ص.ب:5621

الاشتراكات السنوية :
المؤسسات و الدوائر الرسمية : (3000) ل.س
الأفراد : (1000) ل.س أو ما يعادلها .

ثمن النسخة :
سورية : 30 ل.س . لبنان : 1500 ل.ل . الأردن : 500 فلس . الإمارات العربية المتحدة 10 دراهم . الجمهورية اليمنية : 25 ريالاً . الكويت : دينار واحد . قطر : 5 ريالات . جمهورية مصر العربية : جنيه واحد . الجماهيرية الليبية : دينار واحد . السودان : 5 جنيهات . تونس : نصف دينار . الجزائر : 10 دنانير . المغرب : 10 دراهم . البلدان الأجنبية : 5 دولارات .

الخبر في صورة..

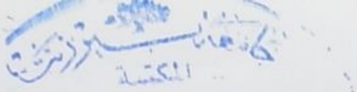

موقف

في مواجهة الخطوات التصفوية وخطوة أبو مازن الانقسامية:

المرجعية هي الرد

يستغل العدو الصهيوني الأوضاع العربية المتردية والحالة الفلسطينية المزرية والدعم الغربي غير المحدود له وسابق الزمن لإنجاز إستراتيجيته الصهيونية التي لم تتبدل ولم تتغير ولم يحد عنها قيد أنملة منذ المؤتمر الصهيوني الأول نهاية القرن التاسع عشر، وهي تهويد كامل فلسطين من نهرها إلى بحرها، حيث أتاحت له المضي قدماً لتحقيقها حالة شبه الانسحاب العربي الرسمي، من مسؤولية حمل الهموم القومية للأمة والانكفاء من قبل أغلب النظام العربي نحو القطرية الضيقة، وعلى رأس هذه الهموم قضية قضايا الأمة المركزية في فلسطين، حيث سعى البعض لنفض اليد منها؛ وأفاد في مخططاته التهويدية أيما إفادة من انحراف القيادة الفلسطينية عن ثوابت ومنطلقات ومبادئ الثورة الفلسطينية المعاصرة وولوجها مهاوي اتفاقيات أوسلو الخيانية، وساعده على إنجازها التواطؤ الدولي. لقد كان في كل ذلك ما وفر له الوقت وهو الدعم وتوفير الجهد وقلة الكلفة للمضي قدماً في سياسات التهويد لما بقي من فلسطين. وهو اليوم إذ يدرك مدى الدرْك الذي وصلت إليه الأوضاع العربية والفلسطينية، بأنها الفرصة السانحة لإنجاز ما تبقى من إستراتيجيته المشار إليها.

إن الخطوات التهويدية المتسارعة والحثيثة لتهويد القدس وتشريد أهلها عبر التضييق عليهم وهدم بيوتهم، وما يجري من إحكام السيطرة على الحرم القدسي، من تحته ومن فوقه ومن حوله، وما يجري في ساحته قيد التدنيس من جانب قوات العدو وقطعان مستوطنيه، حيث تحوّل إلى ساحة مواجهة بين أهلنا المرابطين الصامدين المستفرد بهم، وبين آلة الموت الصهيونية الهادرة في حقدها ودمويتها دون وازع أو رادع أو مجير، يظهر مدى اقتناص عدونا لهذه الفرصة للإجهاز على القضية برمتها إذ إن ما يجري هناك ما هو إلا إنموذج لما يتعرض له باقي أكناف بيت المقدس جميعها، أي ما تتعرض له فلسطين برمتها من نهرها إلى بحرها.

إن المسؤولية عن ما يجري يتقاسمها مع العدو والغرب الداعم له حالة العجز العربي الراهنة الأقرب إلى التواطؤ، والإمعان في التفريط الخياني من قبل نهج أوسلو، الممثل في سلطة اتفاقيات التنازلات والاستلام والتكيف مع العدو في رام الله، كما لا ينجو من مسؤولية الإسهام فيها حالة شبه الصمت أو وضع المتفرج التي يحياها أغلب العالم الإسلامي، وكذلك شبه الغياب للضمير الإنساني في عالمنا الراهن. وإذا كان هؤلاء جميعاً هم المسؤولون عن ما يجري للقدس وأكنافها والوطن الذي هي عاصمته، فإن الوطنيين أو قوى المقاومة تتحمل مسؤولية تاريخية لمواجهته، تقتضي منها التوقف ملياً أمام ما يجري، لا سيما بعد أن ذهبت زمرة أوسلو إلى المدى الذي أوصل الحالة الانقسامية الفلسطينية إلى ما وصلت إليه عبر تماهيها مع إملاءات العدو واستجاباتها لها، وإصرارها على الإمعان في نهجها المدمر لوحدة شعبنا النضالية، والملحق أفدح الأذى بقضيته العادلة، الأمر الذي يجعل مسألة التنادي الوطني، الآن قبل غد لتشكيل مرجعية وطنية مقاومة ومؤتمنة على القضية ونهج التحرير والعودة أمر في حكم الضرورة، بل قضية وجود وبقاء ومسألة حفاظ على هوية وطنية وحقوق ثابتة غير قابلة للتصرف.

مرجعية وطنية ليست بديلاً عن منظمة التحرير وإنما خطوة مستحقة لاستعادتها إلى خطها الوطني وإعادة الاعتبار لميثاقها الأصيل قبل العبث به، وإعادة بنائها على أسس ديمقراطية وبمشاركة الجميع وطناً وشتاتاً. إن مثل هذه الخطوة التي لا تقبل التأجيل ولا يجوز التردد في التعجيل بها، يسوّغها بل يوجبها فقدان الأوسلويين للشرعية النضالية بعد أن أوصلوا الساحة الوطنية إلى هذا الحد المزري والقضية إلى هذه المنعطفات التصفوية الخطرة، بل حتى فقدانهم لما يدعونه بالشرعية الدستورية وفق منطق سلطة أوسلو للحكم الذاتي الإداري المحدود تحت حراب الاحتلال.

إنها المرجعية المنشودة التي طالما دعت حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح/ الانتفاضة، التي سبق أن شخصت سلفاً المآل الذي أوصل الأوسلويون المنحرفون الساحة الوطنية إليه وحذرت منه ودعت إلى مواجهته منذ أن بدأ، وانتفضت في العام ١٩٨٣، للحؤول دون الوصول إليه، وستظل تدعو وللمرة الألف، إلى الإسراع في تحمل الوطنيين هذه المسؤولية التاريخية والتداعي إلى إقامة هذه الخطوة الوطنية المستحقة، التي في ظل الراهن قد غدت أمراً يتعلق بالبقاء والوجود الوطني ... بفلسطين، تكون أولا تكون، واستمرار النضال لتحريرها.

Digitized by Birzeit University Library

الكيان الصهيوني وفوبيا التحولات... حقائق المعادلة ومفارقاتها

عبد اللطيف مهنا

منذ قرون خلت، وحتى قبل فكرة "الدولة المانعة" التي كان المطلوب زرعها بين مشرق العرب ومغربهم، فكر الغرب الاستعماري في اختراع "إسرائيله". كان هذا سابقاً على انطلاق الفكرة الصهيونية نفسها، وعندما سنحت له الفرصة المواتية بداية القرن المنصرم إثر حصاد الحرب العالمية الأولى بدأ مجتهداً في صناعتها. وقبل ما يزيد عن نصف القرن بعقد، وإثر ما آلت إليه الحرب العالمية الثانية، حقق قيامها. أمن للصهاينة منذ البدء السبل لاغتصاب فلسطين العربيّة وما مكنهم من نكبة أهلها. ومن يومها أيضاً، أمّن للكيان الصهيوني ولازال كافة سبل البقاء والاستمرار والازدهار... وضمن لدولة الكيان الغاصب لفلسطين ولا يزال سبل القوة والقدرة والجرأة، ونصب لها مظلة الحماية الدائمة المادية والمعنوية، لكي تمارس وجودها العدواني المنسجم مع طبيعتها الاستعمارية الإحلالية القائمة على نفي الآخر والتي لا تستقيم إلا به... مكنها من أن تفرض هذا الوجود قسراً وقهراً وبالحديد والنار والدماء على أمة معتدى عليها... أمة بالرغم من كل ما تعيشه من مظاهر واقع منحدر غير خاف على أحد، يتفاقم في ظل غياب مريع للإدارة السياسية، هذه التي لا تنقصها سواها على الصعيد الرسمي، والتغييب القسري لهذه الإدارة على المستوى الشعبي، إلا أنها بالرغم من كل هذا وكل الانكسارات لا تنفك تعبر عن رفضها لهذا الوجود العدواني الغريب والطارئ والمفتعل بين ظهرانيها ولا تقبل به. وهي إذ تقاومه نظراً لرامتها بأضعف الإيمان، فلا التاريخ ولا الجغرافيا ولا الإحساس بالظلم والمهانة يضمن أنه في راهن مختلف لها عن راهنها هذا سوف لن تنهض لكي تأخذ أجيالها اللاحقة حقها مستعاداً كاملاً بيدها.

هذه المعادلة، التي أنتجت كياناً مفتعلاً، هو عبارة عن ثكنة غربية متقدمة مدججة حتى الأسنان بأخر مبتكرات آلة الموت المتطورة، أو كما يقال جيشاً لجباً له دولة ملحقة به، بفضل سهر من اخترع وأقام وضمن البقاء والاستمرار والرعاية والحماية لها، قد غدت تبدو المدللة المعصومة، التي تتصرف باعتبارها فوق القوانين والمواثيق والأعراف الدولية، وحتى أبسط معاني القيم الإنسانية، أي التي ترى نفسها فوق المساءلة وبمنجى من العقاب، وحتى في غنى عن تبرير كل ما ارتكبه، وصولاً إلى تجريمها لكل من ينتقدها، أو يشكك في رواياتها الخاصة التي تزوّرها ورويتها لنفسها التي تفرضها، شاء من شاء وأبى من أبى... مثلاً، لا حصراً، قررت حكومة الكيان الصهيوني رفض تشكيل لجنة تحقيق في اتهامات تقرير غولدستون للصهاينة بارتكاباتهم لجرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية إبان حرب العدوان على غزة، وقررت تشكيل وحدة لمحاربة التحقيق وتبعاته القضائية والدولية... وأكثر: السعي لـ"مبادرات دولية لتعديل قوانين الحرب"، أي للي عنق القوانين المتفق عليها دولياً حتى لا تطالهم أو لا تنسجم مع ما تريدونه منها!!!

هذا وجه واحد من وجوه هذه المعادلة، أما الآخر، فهو، ولأن هذا المنتج الغربي يدرك في قرارة نفسه إدراكاً لا لبس فيه بأنه الغريب المعتدي والغازي المغتصب والمفروض المرفوض، ولا يغيب عنه للحظة بأن الصراع الناجم عن وجوده هو مديد ومن طبيعة تناحرية، بمعنى أنه صراع وجود لا حدود بالنسبة لطرفيه كليهما لا يحسم إلا لصالح واحد منهما، فقد غدا هذا هاجساً قاتلاً بالنسبة له، أو فوبيا عدم اطمئنان مزمن وأبدي إلى احتمالات البقاء، وكنا قد تطرقنا لهذا في المقال السابق عندما تحدثنا عن ملامح أو نذر التحول التركي الاستراتيجي وردة الفعل الصهيونية عليه...

من هنا، نجد تفسيرنا دون عناء لهذه المفارقات الراهنة التي يعيشها الكيان هذه الأيام، والتي منها ثلاث:

الحملة الصهيونية الإعلامية المتصاعدة والمحمومة على تركيا، التي تنطلق من النظر إلى المواقف التركية الأخيرة من عدوانيتها على أن فيها ما يفوق مجرد "إشارة حمراء"، وبالتالي تستحق كل هذا التنديد الصهيوني بـ "العثمانيين الجدد"، والعودة إلى إحياء مصطلح "رجل أوروبا المريض"، وتوصيف مثل "الخاسر المناوب"، ولدرجة التذكير بمجازر الأرمن، والزعم بأنها كانت مثالاً لعدم مبالاة العالم في حينه والتي من شأنها أن شجعت هتلر على ارتكاب ما ارتكب ضد اليهود، وأخيراً، وليس آخراً، الدعوة لإعادة النظر في اعتبار الدولة العثمانية دولة متسامحة مع يهودها، بل وصل الهجاء الإسرائيلي للأتراك حد التنديد بإقدامهم على إخلاء تُل أبيب، التي كانت أقل من أن توصف بقرية صغيرة في خاصرة مدينة يافا الفلسطينية إبان الحرب العالمية الأولى، استعداداً لمواجهة الجيوش البريطانية القادمة من مصر والغازية لفلسطين!

الثانية، ردة الفعل المتسمة بالقلق الشديد والمعبرة صراحاً عن الغضب الذي لا يخفي رعباً من مجرد ما يبدو، من وجهة النظر الصهيونية، أنه بعض تساهل قد أبداه الغرب أو أجبر عليه، لكي يتوصل إلى اتفاق حل مع إيران يتعلق ببرنامجها النووي السلمي... حملة على الدكتور محمد البرادعي رئيس الوكالة الدولية للطاقة النووية، لتقديمه مقترح ورقة هذا الاتفاق المنشود، حيث يرون فيما رحبت به مبدئياً أطراف التفاوض في جنيف بلا استثناء، وفق توصيف للمراسل العسكري لصحيفة "يدعوت أحرونوت"، أنه "ليس ضوءاً في نهاية النفق، وإذا كان كذلك، فلابد أنه ضوء كشاف لامع لقطار سريع يسير نحونا مندفعاً ومبشراً بالمصيبة"، ولأنهم يعتبرون، وفق ما جاء في صحيفة "إسرائيل اليوم"، قبول إيران المنتظر أو المرتجى إن

حدث، وهو الذي لم يحدث أو يؤكد حتى الآن، بالمقترح التسوية التي تحفظ للغرب ماء الوجه، وتعترف لإيران بحقها الذي تكفله لها مواثيق وكالة الطاقة النووية نفسها، بأنه "خداع وتضليل... حيث في يوم من الأيام سيضيق العالم ويكتشف أن القنبلة النووية الفارسية قد بنيت، أو تم تنفيذ تجربة تحت الأرض، من دون أن تظهر أي إشارة على وجه أحمدي نجاد، وعلى الدوام سيوجد محامون يدعون لابتلاع المرارة"!

لماذا كل هذا العويل الصهيوني؟ إنهم يفسرونه بأنفسهم. إنما هو لأن اتفاق البرادعي إن تم فيعني بالنسبة لهم فك عزلة إيران، ويؤمن لها تجنب شر الضربة الأمريكية المنشودة والتي يحرضون صباح مساء عليها وينزع مبررات حدوثها، وبواسطته سوف تنتزع طهران لمشروعها النووي شرعيةً دوليةً كان يحاول الغرب مستميتاً حرمانها منها، والأدهى عندهم، إنه سوف يعطيها لا محالة دوراً أكبر كقوة إقليمية كبرى!

أما المفارقة الثالثة، فهي من جزئين، الأول هو مناورة "جونيبر كوبرا" العسكرية الأمريكية الإسرائيلية الدائرة هذه الأيام، أو مناورة "العمل بصورة مشتركة" والتي تعني الاعتماد المتبادل بين الحليفين، ونقل تحالفهما إلى مستوى أكثر سطوعاً ووضوحاً، بما يعني تخلي الطرف الأمريكي فيه عن حرج أو نفاق سابق حيث كان يبدي قليلاً من التستر كقليل من مراعاة لخاطر أصدقائه من "المعتدلين" العرب أو مثل ذلك سابقاً... باختصار، المناورات التي حققت بامتياز مقولة الثكنة المتقدمة للغرب ذات الدور والوظيفة في خدمته، ليس في بلادنا العربية فحسب، وإنما تتعداها إلى جواريها الإسلامي والإفريقي وما ورائهما أو ما بعدهما... لماذا؟

بالرغم من أن هذه المناورة هي الخامسة، إذ تجري كل عامين، فإنها الأكبر والأضخم والأوسع، والتي يشرف قائد الأسطول السادس الأمريكي بنفسه عليها، إذ يشارك فيها آلاف الجنود من الطرفين، وعشرات البوارج الحربية والطائرات، ومنظومات دفاع جوي من طراز "ثاد" و "اس ٣" و "باتريوت" و "بالـ٣" الأمريكية، بالاشتراك مع "حيتس" الصهيونية التي هي أصلاً أرو الأمريكية، بالإضافة إلى منظومة الكشف والتعقب البحرية الأمريكية "إيجيس"، ثم مجموعة

الرادار الأكثر تطوراً التي نصبها الأمريكان قبل حوالي العام في النقب المحتل، والتي ترصد الصواريخ من مسافة تزيد على أربعة آلاف كيلومتر... ومع هذه وتلك وما يعني، فإن الهدف الثاني المعلن منها هو بلورة أساليب عمل مشتركة لمواجهة أي خطر يتهدد أمن الكيان والقدرة الأمريكية للدفاع عنه... أما ما يريده الصهاينة منها فيكمن في كون أن "الأهداف الأساسية من المناورة هي إقامة بنية تحتية ثابتة لاستيعاب منظومات أمريكية في أوقات الطوارئ عندما تتعرض إسرائيل لخطر حقيقي"... الخطر ممن؟

إنه، وأيضاً وفق المعلن في وسائل إعلامهم، الصواريخ الإيرانية والسورية واللبنانية والفلسطينية...

... والآن، ما الذي يربط بين هذه المناورة ذات الأبعاد والنوعية وما قد يخلفه الأمريكان وراءهم من أعتدة ومنظومات وخبرات وخبراء للكيان بعد انقضائها، والحملة المستعرة على "العثمانيين الجدد"، والتحذير الأقرب إلى الصراخ والعويل والتحريض من "الخداع والتضليل" الإيراني المزعوم، أو شرور ورقة البرادعي أو قطار المصيبة السريع المندفع نحوهم؟!

باختصار إنه ردّ على كسر الأتراك لجناح "نسر الأناضول" أو المناورة الملغاة لأنهم لم يسمحوا للصهاينة بالمشاركة فيها، أو هو تعويض عنها، وتهويل مدروس موجه لإيران لابتزازها يترافق مع عملية محاورتها الجارية التي بدا أن الغرب يستجديها هذه الأيام وفي نفس الوقت يتناقض معها... ورد على انكفاء المشروع الأمريكي المتعثر الخاسر في العراق والمأزوم المهزوم أو قاب قوسين أو أدنى من الاندحار في أفغانستان... وعلى إخفاقات الحرب الأخيرة على لبنان التي كان حصادها انتصار صمود المقاومة اللبنانية فيها... وأسطورية الصمود الفلسطيني الذي تلى في حرب غزة...

أما الجزء الثاني من هذه المفارقة الثالثة، فهو أنه وبالتزامن مع مناورة "جونيبر كوبرا" جاء الإعلان عن اعتقال مهندس يهودي أمريكي يعمل في مختبرات لإنتاج الأسلحة النووية الأمريكية، هو ستيوارت ديفيد نوزات، بتهمة محاولته الاتصال بالكيان الصهيوني ليتجسس لحسابه... الطريف هو تزامن هذه وتلك مع الإعلان سلفاً عن أمرين لهما دلالتهما هما: أن هذا المهندس الجاسوس هو المتهم وليس الكيان الصهيوني أو الجهة التي سيتجسس لها... ورسالة مصورة للمؤتمر المسمى بالرئاسي الصهيوني السادس في القدس المحتلة المعنون "مواجهة المستقبل" يبعثها الرئيس الأمريكي باراك أوباما يؤكد فيها: إن ما يجمعنا هو "رابط أكبر بكثير من التحالف الإستراتيجي"... لعل كل هذا مفهوم إذا ما عدنا به وأعدناه إلى المعادلة الأصل التي تمت الإشارة لها والتي نجمت عنها كل هذه المفارقات...

Digitized by Birzeit University Library

اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني/ فتح ـ الانتفاضة:
نرفض وندين مرسوم أبو مازن الانتخابي ونحذر من مخاطره السياسية والوطنية

إزاء موقفها من خطوات أبو مازل الانقسامية ونهجه التوطني المدمر

أصدرت اللجنة المركزية لحركة التحرير الفلسطيني فتح / الانتفاضة - البيان التالي

توقفت اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني/ فتح. الانتفاضة، في اجتماع طارئ لها أمام المرسوم الذي أصدره محمود عباس رئيس سلطة الحكم الإداري الذاتي، القاضي بإجراء انتخابات رئاسية وتشريعية في الرابع والعشرين من كانون الثاني للعام ٢٠١٠، وتدارست الدلالات الخطيرة التي ينطوي عليها هذا القرار، دون التوصل إلى وفاق وطني، وما يترتب على هذه الخطوة والموقف الانقسامي الجديد من انعكاسات وتداعيات على مجمل الأوضاع في الساحة الفلسطينية، ومختلف الجوانب التي تتعلق بقضية فلسطين.

إن اللجنة المركزية للحركة التي لم تكن معنية بالانتخابات في ظل الاحتلال الصهيوني وتحت حرابه، ولم تكن شريكة بها يوما لا ترشحا ولا اقتراعا، وبقيت على الدوام محتفظة برويتها السياسية وبموقفها من اتفاق أوسلو المشؤوم وكل تداعياته ونتائجه ومؤسساته، لا تنظر إلى هذا القرار المرسوم، كمسألة قانونية واستحقاق دستوري، وهذا لا يعنيها من قريب أو بعيد، بل تنظر إليه من زاوية أهدافه ووظيفته السياسية الخطيرة، وما ينتج عنه من تعميق لحالة الانقسام في الساحة الفلسطينية، بما يهدد وحدة الشعب، في الوقت الذي كان شعبنا المناضل ينتظر فيه التوصل لوفاق وطني ينهي حالة الانقسام، ويؤسس لبناء الوحدة الوطنية الفلسطينية.

وعليه فإن اللجنة المركزية للحركة وهي تعرب عن رفضها لهذا القرار - المرسوم ترى فيه ما يلي:ـــ

١. إن التذرع بالنظام والقانون الأساسي وما يسمى بالاستحقاق الدستوري، ما هي إلا أنظمة وقوانين تخص فريق اتفاقية أوسلو المدانة والمرفوضة من الغالبية العظمى من جماهير الشعب الفلسطيني في الداخل والخارج ولا تلزم شعبنا وقواه الوطنية المناضلة والمقاومة.

٢. إن ما ينبغي التمسك به والتأكيد عليه، وأن يكون له الأولوية على غيره من القضايا ويستحق كل الجهد والاهتمام والجدية هو الوفاق الوطني، والحرص على وحدة الشعب والقضية، والعمل الدائب والمخلص لتوحيد جهود وطاقات وصفوف شعبنا لمواجهة التحديات والمؤامرات الصهيونية الساعية إلى فرض الشروط والإملاءات على شعبنا وإخضاعه للحلول التصفوية.

٣. إن هذا القرار . المرسوم يسدل الستار على الحوار الوطني، ويبقي على حالة الانقسام ويهدف في ما يهدف إليه إلى نزع الشرعية عن الوضع السياسي القائم في قطاع غزة، بما يولب عليه معسكر أعداء شعبنا وأمتنا ويجعله عرضه للمزيد من الحصار والضغط والاعتداءات.

إن هذا القرار، المرسوم، جاء استجابة للشروط الأمريكية الصهيونية القاضية برفض التوصل لاتفاق مصالحة مع حركة حماس وقوى المقاومة عموما قبل الالتزام بشروط الرباعية التي تقضي بالاعتراف بالعدو الصهيوني، وبالالتزامات والاتفاقيات الموقعة مع العدو وبخطة خارطة الطريق التصفوية.

٤. ومن هنا فإن ما يهم عباس وسلطته وفريقه هو الهيمنة والإمساك بكل مكونات الساحة الفلسطينية ومفاصل القرارات الوطنية، وبعد أن لاحق المقاومة والمقاومين في الضفة الغربية، وتعمل مؤسساته الأمنية على تجريد الشعب الفلسطيني من سلاحه واعتقال المقاومين، وتهيأت له الظروف للقضاء على ما تبقى من دور وطني لحركة فتح . اللجنة المركزية، التي عقدت مؤتمرها في بيت لحم تحت حراب الاحتلال وبموافقته، ومن ثم فبركة اجتماع لما يسمى المجلس الوطني الفلسطيني لاستكمال عضوية اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، يهيئ نفسه وفريقه للسيطرة على المجلس التشريعي عبر انتخابات يزيف فيها إرادة الشعب، وكل همه أن يقدم نفسه أنه يملك مفاتيح القضية والقرار وصاحب الحق بالتصرف بقضية فلسطين.

٥. إن هذا القرار . المرسوم، جاء ليدلل على افتقاد المصداقية لدى هذا الفريق الذي يتشدق بالحديث عن الحوار والوحدة، ويفهم الوحدة التحاقا بنهجه وخطه وارتباطاته، التي جلبت الكوارث والويلات على قضية فلسطين، وليست توافقا وطنيا ومحصلة لتقييم ومراجعة حقيقية توسس لبناء إستراتيجية وطنية فلسطينية تواجه التحديات والمؤامرات وتصون القضية.

٦. إن اللجنة المركزية للحركة وهي تدعو لأوسع حملة إدانة واستنكار لهذه الخطوة الانقسامية الخطيرة، تطالب بالتحرك السريع، وتدعو كافة القوى الوطنية الفلسطينية للوقوف أمام المخاطر الحقيقة المترتبة على ذلك، لحماية المقاومة ووحدة شعبنا والقضية عموما، وما يقتضيه ذلك من بناء مرجعية وطنية شاملة توسس لإعادة بناء منظمة التحرير الفلسطينية.

وثورة حتى النصر

اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني/ فتح - الانتفاضة

في ٢٤/١٠/٢٠٠٩

سرقة وتلويث المياه في الضفة والقطاع : حرب الإبادة الصامتة

مأمون كيوان

احتلت المياه موقعاً مهماً في الفكر الاستراتيجي الصهيوني منذ بدء التفكير بإنشاء الكيان الصهيوني وقد استند هذا الفكر إلى ادعاءات دينية وتاريخية باطلة ناتجة عن اعتقادها بما جاء في التوراة: كل موقع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته.كما كلمت موسى من البركة ولبنان.هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات.وإلى البحر الكبير نحو المغيب يكون تخمكم. ولاعتقادها أن الحدود المثالية لدى الكيان الصهيوني من النيل إلى الفرات.

وبناء على هذه الادعاءات قامت الحركة الصهيونية بإيفاد الخبراء واللجان العلمية خلال القرن التاسع عشر لدراسة الموارد المائية في فلسطين، ومدى الاستفادة من مياه نهر الأردن لتوليد الطاقة الكهربائية بسبب انخفاض البحر الميت عن البحر المتوسط، وقد قام بهذه الدراسات خبراء فرنسيون وأمريكيون عام ١٨٥٠ ومن بينهم هريس أحد مؤسسي الحركة الصهيونية أواخر القرن التاسع عشر، والجمعية العلمية البريطانية عام ١٨٧٥ التي أوصت بإمكانية إسكان خمسة ملايين مهاجر يهودي في فلسطين، إلا أن أهمية المياه في الفكر الصهيوني أخذت تتبلور بعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٨٧ حيث صرح ثيودور هرتزل بقوله في أعقاب المؤتمر: "إننا وضعنا في هذا المؤتمر أسس الدولة اليهودية بحدودها الشمالية التي تمتد إلى نهر الليطاني.

وفي عام ١٩٠٣ حاولت الدوائر الصهيونية الاتصال بالحكومة البريطانية لإرسال البعثات الفنية لإجراء الدراسات حول إمكانية سحب جزء من مياه نهر النيل إلى سيناء، ومن ثم جر هذه المياه إلى النقب لتطويره وبناء المستعمرات اليهودية فيه. وفي عام ١٩١٩ كان من أهم القرارات التي اتخذها المؤتمر الصهيوني العالمي الذي عقد بمدينة بازل بسويسرا: "يجب تذكير عصبة الأمم أنه لا بد من إدخال المياه الضرورية للري والقوة الكهربائية ضمن الحدود وتشمل نهر الليطاني وثلوج جبل الشيخ.

وبذلت الحركة الصهيونية جهوداً كبيرة لتوسيع الحدود الشمالية للاستحواذ على منابع المياه، وقد أكد ذلك العديد من الزعماء الصهيونيين أمثال حاييم وايزمان في رسالته بتاريخ ١٩٢٠/١٠/٣٠ إلى لويد جورج رئيس الوزراء البريطاني حيث أشار إلى أن مياه نهر الأردن واليرموك لا تفي بحاجة الدولة اليهودية، ونهر الليطاني يمكنه أن يسد هذا العجز ويؤمّن المياه لري الجليل، كما اقترح هربرت صموئيل أول مندوب سامي بريطاني على فلسطين وهو يهودي جعل الحدود الشمالية لفلسطين تتوغل داخل لبنان ليمتد من الضفة الشمالية لنهر الليطاني حتى أقصى ينابيع نهر الأردن قرب راشيا، ولتحقيق أهدافها فقد عملت الدوائر الصهيونية على إرسال العديد من البعثات خلال فترة الانتداب البريطاني إلى فلسطين لإجراء عمليات مسح للمصادر المائية واقتراح المشاريع المائية لتشجيع الاستيطان اليهودي فوضعت المشروع تلو المشروع ومنها مشروع روتنبرغ عام ١٩٢٧، ومشروع أيونيدس عام ١٩٣٨، ومشروع لاودرملك عام ١٩٤٤، ومشروع هيز عام ١٩٤٨.

وقد لخص ديفيد بن غوريون في خطاب له، الأهمية بقضية الوجود الصهيوني من عدمه بقوله: "إن اليهود يخوضون اليوم مع العرب معركة المياه، وعلى مصير هذه المعركة يتوقف مصير "إسرائيل" وإذا لم تنجح هذه المعركة، فإننا لن نكون في فلسطين".

ويستهلك الكيان الصهيوني حالياً ٢٤٠ متراً مكعباً من المياه للشخص الواحد سنوياً وهذا يشكل خمسة أضعاف ما يستهلكه الفرد في الدول العربية المجاورة، ويعتمد الكيان الصهيوني بالأساس على مياه نهر الأردن ويشكل بالنسبة له العمود الفقري، ومن هنا جاء تمسك القادة الصهاينة بأن تكون الحدود الشرقية للكيان الصهيوني هي نهر الأردن، واعتبر ذلك شرطاً للمحافظة على الأمن القومي للكيان الصهيوني.

خرافة العوز المائي

تزعم غالبية الدراسات الصادرة في الكيان الصهيوني أن الكيان الصهيوني في حالة من العجز المائي وإن هذا العجز كان مقدّراً عام ٢٠٠٠ ب ٨٠٠ مليون م٣ وإن مواردها المائية ستقل بمعدل ٣٠٪ عما هو مطلوب إذا ما استمرت على هذا المسار من استهلاك المياه، لأن حاجات الصناعة والاستهلاك المنزلي تتزايد بوتائر عالية نظراً للتطور الصناعي ولزيادة عدد المهاجرين إليها.

ويؤمن الكيان الصهيوني وفراً مائياً لسكانها يزيد عما هو موجود لدى جميع الدول العربية. و تعد المياه الجوفية أهم مصدر للمياه في الكيان الصهيوني ومن أصل الوارد المقدر ب ١٦٥٠ مليون م٣ تشكل المياه الجوفية ٩٥٠م٣ أو ما يوازي ٥٧,٥٪ ويعد خزان الجبل هو الحوض الرئيسي الذي يغذي المياه الجوفية في الكيان الصهيوني ، ويتكون من ثلاثة أحواض. الشرقي، الشمالي الشرقي والغربي. وهذا الأخير مركز بشكل أساسي فوق منطقة الضفة الغربية ويعتبر الحوض الغربي المتجه إلى المخزون المائي الإجمالي في الأحواض الجوفية في الكيان الصهيوني ويبلغ حوالي ٦٧١٠ ملايين م٣ يستغل الكيان الصهيوني هذه الأحواض بالإضافة إلى مياه الضفة الغربية وقطاع غزة التي تقدر ب ٣٦٠ مليون م٣ وتعتبرها غنائم حرب.

والخلاصة أن المياه الجوفية تعتبر المصدر الأساسي للمياه في كل من الضفة الغربية وغزة و الكيان الصهيوني و تعتبر المصادر المائية الجوفية في هذه المناطق الثلاث تعتبر

Digitized by Birzeit University Library

متداخلة بعضها ببعض. وهذا التداخل الهيدرولوجي بين الكيان الصهيوني والضفة والقطاع من جهة وبين الكيان الصهيوني ودول الجوار المشاركة في حوض نهر الأردن من جهة ثانية، هو أكبر مثار لنشوب الحروب.

وبالإضافة إلى الموارد المائية التي سبق ذكرها والمتمثلة بالأمطار والمياه السطحية والجوفية. هناك مصادر أخرى غير تقليدية مثل معالجة مياه الصرف الصحي وتقدر بين ١٥٠ و٢٠٠ مليون م٣ وتطوير نظام الاستمطار الصناعي وتحلية مياه البحر. والحقيقة أن الكيان الصهيوني يخفي الكثير من المعلومات عن واقع المياه لديه ، سواء ما يسرقه من مياه عربية أو ما تعمل على تحليته، لذا نجد أن الأرقام متضاربة أحياناً حول حجم الموارد المائية فيه.

ويسحب الكيان الصهيوني المياه من ثلاثة مصادر طبيعية رئيسية، هي: (أ) الطبقة الحاملة للمياه، أو الخزان الجوفي، بالساحل الغربي. (ب) الطبقة الحاملة للمياه، أو الخزان الجوفي الشرقي، في المرتفعات الشرقية، بالضفة الغربية لنهر الأردن. (ج) بحيرة طبرية، وتمثل نسبة تتراوح بين ٢٥ إلى ٣٠ في المائة من موارد الكيان الصهيوني المائية.

وفي لتقرير موسع و تحت عنوان «العطش للعدالة»، فندت منظمة العفو الدولية الممارسات الصهيونية ، التي اعتبرتها جزءا من «سياسة تهدف إلى طرد الفلسطينيين»، مفيدة بأن الكيان الصهيوني يستخدم «أكثر من ٨٠ في المئة، من المياه الجوفية الجبلية التي تعد مصدر المياه الوحيد لفلسطينيي الضفة الغربية، فيما يحصل الكيان الصهيوني الذي يحتفظ لنفسه بمياه نهر الأردن، على المياه من مصادر عديدة.

كما شدّد التقرير على التناقض الصارخ في الاستهلاك المائي بين الفلسطينيين الذين «يصل استهلاكهم بالكاد إلى ٧٠ ليترا للشخص يوميا، والصهاينة الذين «يتجاوز استهلاكهم ٣٠٠ ليتر للشخص يوميا»، أي أكثر من أربعة أضعاف الحصة الفلسطينية. وفي بعض المناطق الريفية لا يتجاوز الاستهلاك اليومي من الماء لحوالى ٢٠٠ ألف فلسطيني ٢٠ ليترا للشخص، وهو الحد الأدنى «للحالات الطارئة» بحسب منظمة الصحة العالمية.

ويستعمل المستوطنين الذين لا يتجاوز عددهم ٤٥٠ ألفا ملء مسابحهم وريّ حدائقهم المنزلية، كمية من المياه تزيد عما يستهلكه ٢,٣ مليون فلسطيني، حرموا المياه باستخداماتها الأكثر إلحاحا.

و في قطاع غزة المحاصر، هناك ٩٠ إلى ٩٥ في المئة من مياه المصدر الجوفي الساحلي الوحيد، ملوثة وغير صالحة للاستخدام البشري، لكن الكيان الصهيوني يمنع نقل المياه الجوفية الجبلية من الضفة الغربية إلى غزة». والإجراءات الصارمة المفروضة من الكيان الصهيوني في السنوات الأخيرة على دخول المعدات اللازمة لتطوير وإصلاح البنى التحتية، إلى غزة، قد أوصلت القطاع إلى نقطة الأزمة في ما يتعلق بالمياه والصرف الصحي.

فتح تعزي مرشد الثورة والقيادة الإيرانية والحرس الثوري بشهداء الجريمة العدوانية في بلوشستان - سستان الإيرانية.

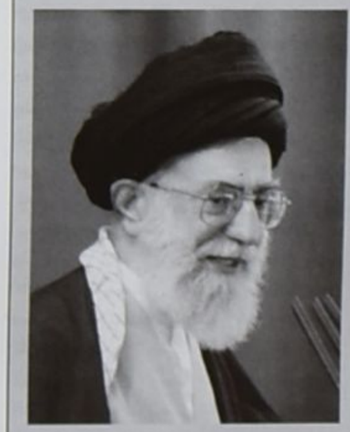

حول الجريمة العدوانية الغادرة التي ارتكبتها القوى العميلة للغرب والمعادية للجمهورية الإسلامية في إيران، وجهت اللجنة المركزية تعازيها لمرشد الثورة ورئيس الجمهورية وقيادة الحرس الثوري، وجاء كما يلي:

تعرب اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني / فتح – الانتفاضة ، عن إدانتها الشديدة واستنكارها العميق ، للجريمة البشعة التي استهدفت لقاء الوحدة في طهران ، والذي ذهب ضحيته عدد من قادة الحرس الثوري الإيراني وفعاليات شعبية ، إضافة إلى تسببه بجرح عدد كبير من الحضور.

وهي إذ تتقدم بأحر التعازي من سماحة مرشد الثورة الإسلامية الإيرانية الإمام الخامنئي ، ولفخامة السيد محمود أحمدي نجاد رئيس الجمهورية ، ومن قيادة الحرس الثوري ، ومن ذوي الشهداء الأبرار ، لعلى ثقة أكيدة أن هذه الجريمة لن تفت في عضد الشعب الإيراني المسلم الشقيق ، ولا قيادته الثورية ، ولن توهن عزيمتهم في التصدي لكل محاولات بث الفتنة في إيران ، أو استهداف النظام الجمهوري الإسلامي، تلك المحاولات البائسة الأمريكية – الصهيونية ومن يدور في فلكهما ، والتي تستهدف إضعاف الصمود الإيراني ، وشل قدرات إيران العلمية والاقتصادية والعسكرية .

إن اللجنة المركزية للحركة ، وهي تعرب عن تضامنها العميق مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية ، لتضرع إلى الله العلي القدير أن يتغمد الشهداء الأبرار بواسع رحمته ، وأن يسكنهم فسيح جنانه .

وثورة حتى النصر

ما بعد تقرير القاضي غولدستون

أروقة المحاكم ليست الطريق الوحيد للمقاومة... النهج الأوسلوي يشوه عدالة القضية الفلسطينية

م.ك

كانت القضية الفلسطينية التي تعتبر القضية الوحيدة التي صدر بشأنها أكبر عدد من القرارات الدولية، على موعد مع صدور قرار دولي آخر ينتصر للفلسطينيين، وذلك على خلفية تقرير لجنة التحقيق الدولية في مجريات ونتائج العدوان الصهيوني على قطاع غزة كانت برئاسة القاضي ريتشارد غولدستون، الذي أنجز تقريرا اعتبر أن الكيان الصهيوني انتهك القانون الدولي الإنساني من خلال ممارسته أفعالا يمكن أن تكون بمثابة جرائم حرب.

وقد اعتمد مجلس حقوق الإنسان قرارا حول تقرير غولدستون أفرغه من محتواه الفعلي ومؤجلاً النظر في التوصيات العديدة التي قدمها غولدستون إلى آذار المقبل، ويذكر أن توصيات التقرير تتمثل في: ضرورة تقديم كشف حساب عما جرى من انتهاكات للإنسانية، وتقديم مشروع قرار يصدره مجلس الأمن، تنص المادة الأولى منه على أنه يطلب من السكرتير العام أن يخطر مجلس الأمن بضرورة مناقشة المجلس للتقرير. و أن الانتهاكات التي وقعت توجب إخطار المحكمة الجنائية الدولية، وأنه من الضروري إخطار الجمعية العامة للأمم المتحدة.

وقد اكتفى البند الأول من مشروع القرار الذي تم التصويت عليه في مشروع القرار الذي صدر بأمور لا خلاف عليها. أما البند الثاني فينص على الترحيب بما جاء في التقرير، معتبراً في ذلك طريقاً للتملص من مسؤولية التقرير.

بطبيعة الحال لا يمكن التقليل من أهمية تقرير غولدستون أو من أهمية تفعيل دور الهيئات الدولية والقانون الدولي في التعاطي مع قضيتنا، مع إدراكنا العميق لمحدودية وقيود لا يمكن تجاهلها في هذا المجال، نتيجة التوازنات في الواقع السياسي الدولي وطبيعة تركيب وقوانين الهيئات الدولية. لكن لا يمكن تجاهل أنه يجري تطبيق القانون على الدول الضعيفة فقط . وهنا يظهر ما يطبقه الكيان الصهيوني من هذه القرارات والقوانين وإذا اعتبرنا إن الكيان الصهيوني لم يطبق ٤٠ قرارا لمجلس الأمن وأكثر من ٦٠٠ قرار للجمعية العامة للأمم المتحدة وهذا ما يؤكد إن القانون يطبق على الضعيف فقط.

وتشكل الملابسات والتجاذبات أو تداعيات تقرير غولدستون في الساحة الفلسطينية مثارا لقراءة واستشراف آفاق العمل الوطني الفلسطيني المأزوم منذ ما يزيد عن ثلاثة عقود من الزمن.

ففي بداية المطاف فاجأت سلطة الحكم الذاتي المحدود في رام الله الجميع بقرار سحب مشروع قرار يدعم تقرير لجنة غولدستون. و ذكر أن رئيس المخابرات في الكيان الصهيوني (الشاباك) يوفال ديسكين زار الرئيس محمود عباس في المقاطعة قبل يوم من تنكر السلطة لتقرير غولدستون.

ودفع قرار التأجيل مقرر الأمم المتحدة الخاص لحقوق الإنسان في الأراضي الفلسطينية المحتلة ريتشارد فولك للقول أن موقف السلطة من التقرير يخلق شعورا بأنها ليست قادرة على حماية مصالح الشعب الفلسطيني، و ذلك يخلق أزمة تمثيل للشعب الفلسطيني.

وهنا جوهر القضية المتمثل في من يمثل الشعب الفلسطيني؟. هل هو محمود عباس مهندس وعراب نهج التسوية والمساومة المفرطة في العمل السياسي الفلسطيني؟. والذي كان أول من طرح فكرة الاتصال بالقوى اليهودية و الصهيونية المحبة للسلام داخل وخارج الكيان الصهيوني في إطار حركة فتح. وعمليا فتح عباس قنوات اتصال مع الكيان الصهيوني في العام ١٩٧٤ ، انتهت بالكشف عن إعلان مبادئ السلام مع الكيان الصهيوني المتضمن الاعتراف بالكيان الصهيوني عام ١٩٧٧ كخلاصة حوارات عباس مع الجنرال ماتيتياهو بيليد ، كما أن محمود عباس وهو الذي وقع على اتفاق أوسلو ووقع في الوقت نفسه على مرحلة جديدة من التنازلات والتفريط، وخرق المحرمات والمحظورات الوطنية الفلسطينية.

و في كلمة له يوم ١٠-١٠-١٩٩٣ في اجتماع المجلس المركزي قال محمود عباس: « ما تم التوصل إليه يحمل في بطنه دولة أو قد يكرس

Digitized by Birzeit University Library

الاحتلال وهذا يتوقف على أسلوبنا في التعامل معه، عقل الثورة غير عقل الدولة، علينا أن نلبس ثوبا جديدا».

ووقع أيضا ما عرف باتفاقية أوسلو-٢ في شهر ٩-١٩٩٥ وعاد إلى فلسطين في نفس الشهر ليبدأ رحلة أخرى من معاداته لشعبه وكان أول ما قام به نشر كتابه عن مفاوضات أوسلو السرية تحت عنوان: قنوات سرية-الطريق إلى أوسلو متبجحا فيه بإنجازاته العظيمة وحنكته الفائقة! وفي رصيده وثيقة تسووية خطيرة سميت وثيقة (أبو مازن-بيلين) في العام ١٩٩٥ . وعباس هو من انتقد الانتفاضة في أكثر من مقال وتصريح وحوار صحفي وانتحى منحى نزع السلاح من أيدي المقاومين لاعتبار أن «عسكرة الانتفاضة كارثة» !!

وفي عام ١٩٩٧ نشرت الصحف العبرية رسالة وجهها عباس لشارون، وكان حينها وزيراً للبنى التحتية في حكومة الاحتلال، يشكره فيها على إخراج منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان!!، و قال بعد اتفاق واي بلانتيشن ١٩٩٨- في وصف السفاح شارون بـ « شارون الطيب الذي تغير ولم يعد ذلك الرجل الذي عرفناه في صبرا وشاتيلا » وأن « الرجل عادي وخارج المفاوضات يصبح أقرب إلى الفلاح منه إلى العسكري وأنه أي شارون «عبر عن تقديره للإنسان الفلسطيني».

اجمالا، المشكلة الأساسية في ساحة العمل الوطني الفلسطيني ليست في سحب عباس تقرير غولدستون من التصويت أو إبقاله، وإنما في نهج يسير عليه، يتلخص في التفرد باتخاذ القرار الفلسطيني المفترض به أن يكون قرارا وطنيا مسؤولا ينسجم مع طبيعة الصراع وقوانينه الأساسية؛ وأن يصدر القرار عن المرجعية الفلسطينية ممثلة بمنظمة تحرير فاعلة تمثل حاضنة لطموحات وإرادة الشعب الفلسطيني داخل وخارج فلسطين. وليس أطلال وهياكل المنظمة القائمة راهنا والفاقدة لصدقيتها وقبل كل شيء الفاقدة لمبرر وجودها من جراء وقوعها في أسر محمود عباس رئيس سلطة تمثل مجموعة صغيرة جدا من المنتفعين المنبوذين من شعبهم أو تنظيماتهم، يخدمون مصالحهم الشخصية والعائلية، ويعملون أي شيء لإرضاء الأمريكان وعدم إغضاب الصهاينة في الوقت نفسه.

ويتمثل مصدر المغالاة في التفريط بالقضية والحقوق الفلسطينية الأصيلة بتبني محمود عباس وطاقمه،التنسيق الأمني مع الكيان الصهيوني، بموجب أوسلو ثم خارطة الطريق، فضلاً عن عن الرضوخ للاملاءات الأميركية والصهيونية.

ويمكن القول على هامش تقرير غولدستون وفي إطار وضع الأمور في نصابها أن أهمية النضال أو المقاومة القانونية والعمل في المحافل الدولية لكشف عنصرية وهمجية الكيان الصهيونيين لا يجب أن تقلل أو أن تكون بديلا عن الأدوات والخيارات الأخرى لإدارة الصراع، وذلك على اعتبار أن للصراع العربي-الصهيوني مظاهر وأبعاد كثيرة. والقضية الفلسطينية لا يمكن حلها فقط عم طريق المحاكم الدولية بل من خلال وجود قيادة وطنية فلسطينية تعبر عن المصالح الحقيقية للشعب الفلسطيني تمتلك القدرة على إدارة الصراع بكفاية عالية و مراكمة انجازات وطنية حقيقية لا تكون على غرار الانجازات الأوسلوية التي قزمت القضية الفلسطينية وجعلتها مجموعة قضايا فرعية لمجموعات أو جماعات سياسية فلسطينية متخاصمة ومتناحرة.

وعلى خلفية ذلك جرى تعويم مصطلح الانقسام الفلسطيني كي يكون بديلا للحديث عن أزمة العمل الوطني الفلسطيني وأزمة القوى التي اختارت منذ عقود الانخراط في المعسكر الصهيوني والرضوخ لمتطلبات ذلك الخيار المتمثلة في تعميم نهج التسوية والتفريط في الساحة الفلسطينية.

ولا بد من التذكير أن استمرار النهج التسووي في ساحة العمل الوطني الفلسطيني هو تعميق للأزمة السياسية الفلسطينية بوصفها أزمة قيادة، فما سمي بالقيادة التاريخية والشرعية قادت الشعب الفلسطيني الذي قدم تضحيات كبرى قادته إلى خيبات أمل ونكسات أو نكبات جديدة.

وراهنا هناك نوعان للتحديات التي يواجهها الشعب الفلسطيني: مازق آنية ومازق بعيدة المدى. وللخروج من مازق النوع الاول لا بد من وجود نهج عقلاني وشرعي لاتخاذ القرار يضم معظم المجموعات والتيارات السياسية في مناطق الحكم الذاتي والشتات. ومن المهم في هذا الصدد انشاء موسسات ديمقراطية شرعية. و اعادة تركيب منظمة للتحرير وجعلها قادرة على العمل.

وسيقود خلاف ذلك إلى استمرار الدوران أو الضياع بين أوهام دولة الثورة والسلطة الثورية وديمقراطية غابة البنادق التي أفضت إلى سلسلة من الهزائم السياسية و كردة القضية الفلسطينية ، أي تحويلها إلى رزمة قضايا فرعية مرحلية أو نهائية فضلا عن تفتيت وحدة الشعب الفلسطيني إلى شعوب أو مجموعات متمايزة عن بعضها على أساس جغرافي – سياسي لا رابط بينها سوى التعاطف أو التضامن في الملمات والنكبات.

تقرير

المقدسيون يحيون الأسماء الحقيقية لشوارع القدس

يواصل المقدسيون على غرار عموم الفلسطينيين داخل الوطن المحتل والمستعمر تصديهم ومقاومتهم لكافة الاجراءات الصهيونية ضد البشر والحجر في المدينة المقدسة وهي الاجراءات التي تتمثل في قوانين وأنظمة منها: قوانين مصادرة الأراضي و قوانين التنظيم والبناء و قانون الغائبين و مصادرة الهويات .

كما يعمل الصهاينة على "أسرلة" الأقلية التي بقيت في المدينة من الفلسطينيين والتي لا تزيد عن ٢٧٪، ويسعى الكيان الصهيوني إ لربط القطاعات الصحية والتعليمية والتجارية والصناعية والخدماتية بإسرائيل وتحويل ضم المدينة من ضم الأرض إلى ضم الأقلية المحددة لسكان القدس، وتقوم البلدية بما يلزم من إجراءات جنباً إلى جنب مع باقي المؤسسات الصهيونية لأسرلة من تبقى من المواطنين الفلسطينيين في القدس الشرقية وذلك من خلال تطور الخدمات المقدمة للأقلية التي تريد أسرلتها لذلك عملت على رفع مستوى استيعاب المدارس الصهيونية لتقضي على المدارس العربية الحكومية والخاصة، حيث يدرس الآن ٢٧ ألف طالب عربي في المدارس الصهيونية في القدس بينما يدرس ١٨ ألفاً في المدارس العربية الخاصة والحكومية، إضافة إلى محاصرة مشروع الصحة الفلسطيني في القدس.

وقد مرّت عملية تهويد الأسماء بمحطات كثيرة، وتوزّعت التسميات الصهيونية للمعالم الفلسطينية وفق الأنماط التالية: ١. أسماء تناخية تحدث عنها التناخ في سفر يشوع، أي بين أسباط بني إسرائيل. وحسب ذلك التقسيم جرت تسمية المناطق الفلسطينية على النحو التالي : منطقتا حيفا وعكا، حتى الليطاني،سميتا أشير، الجليل الشرقي،سمي نفتالي: منطقتا طبرية وبيسان سميتا أفرايم، منطقة اللد والرملة ويافا سميتا شمعون. وفي الخرائط والأطالس وشتى الكتب الإسرائيلية، أعطي العديد من أسماء الأماكن والمعالم الجغرافية الفلسطينية أسماء تناخية، إما بسبب ورود هذه الأسماء في " العهد القديم " أو بفعل التقدير أن الأماكن المسماة كانت مسرحاً لحدث معيّن حسب الرواية التناخية، وفيما يلي بعض النماذج: سهل حيفا / عكا سمي عيمق زبولون. مرج ابن عامر سمي عيمق يزرعيل، البحر الميت سمي يم هميلح (يم لوط).

تجدر الإشارة هنا إلى أن الغالبية العظمى لأسماء الأماكن التي تزعم المصادر اليهودية أنها عبرية، هي أسماء كنعانية انتحلتها إسرائيل، كما في الأسماء السابقة، وغيرها مثل : يردن = الأردن، عكو= عكا، يافو = يافا، نصريت أونتسريت = الناصرة.

وهناك تسميات تلمودية : أطلقت هذه التسميات على أماكن ورد ذكرها في المشنا (و التلمود عموماً) وكانت مستعملة في العهدين البيزنطي و الروماني، و منها مثلاً: خربة نبرتين (في الجليل الأعلى) سميت خربة نبورياه، -خربة المنارة (في الجليل الأسفل) سميت : خربة منوريم.

وفي حالات أخرى أطلقت تسميات يهودية على أماكن فلسطينية (تخليداً) لأسماء شخصيات ورد ذكرها في الرواية اليهودية لتاريخ البلاد. فمثلاً سمي جبل الشيخ مرزوق(جنوب غرب القدس) هار غيورا على اسم شمعون بارغيورا ،أحد قادة التمرد اليهودي ضد الرومان. وسمي جبل العريمة (في منطقة الخليل) باسم هار هكنائيم (تخليدا لذكرى المتعصبين اليهود الذين تمردوا ضد الرومان و تحصنوا في قلعة متسادا =مساده).

وتوجد تسميات محرّفة عن العربية : حسب هذا النمط، جرى تحريف الأسماء العربية لمعالم، واستخدمت عوضاً عنها ألفاظ عبرية، مع إبقاء بعض الحروف الأصلية في هذه الألفاظ .. أمثلة : - جبل أباريك سمي هار برك، جبل الرحمة سمي هار رحاماه.

ولعل احد جوانب القصور في عملية التهويد، يتمثل في عدم نجاح الإسرائيليين في تهويد أجزاء هامة من الأراضي التي قامت عليها إسرائيل ومنها منطقة الجليل. و كافة المشاريع والمخططات الإسرائيلية الرامية إلى تنشيط عملية تهويد الجليل لتلافي مخاطر،القنبلة الديمغرافية ، لم تخرج عملية التهويد من أزمتها . وتتم التغطية على هذا الفشل بالثرثرة عن إعادة إحياء خريطة السلام الموعود.

وفي اتجاه معاكس للاجراءات الصهيونية ومنها إرسال بلدية الاحتلال عمالها لوضع شاخصات جديدة من مادة السيراميك تشير إلى أسماء الشوارع في الحي اليهودي، تمكن أحد المقدسيين من تغيير الأسماء. وبهذه الخطوة أصبح شارع لواء الكوتل يحمل اسما عربيا أصليا هو «عقبة الطابونة»، فيما استعاد شارع «بيت هباد» اسمه الأصلي «شارع المفتي»، بينما تحولت بوابة «شاعر هابرحيم» إلى «بوابة درويش»، و«عقبة هامدرشاه» إلى شارع التقية.

Digitized by Birzeit University Library

حكومة نتانياهو و"معركة غولدستون" طويلة الأمد

مأمون الحسيني

ربما كان تقرير غولدستون الذي حمّل الكيان الصهيوني مسؤولية ارتكاب جرائم حرب في قطاع غزة، خلال ما سمي عملية «الرصاص المصبوب»، أواخر العام الماضي وأوائل العام الجاري، هو الأول، من بين رزمة التقارير الدولية العديدة، الذي أثار ذعرا وهلعا غير مسبوقين لدى القادة الصهاينة الذين ورثوا عن أسلافهم عادة رمي التقارير الدولية وتوصياتها في سلة المهملات، واستدعى هذا الكم من الارتباك والتخبط والتباين في المواقف ما بين بعض القيادات السياسية، من نمط نائب رئيس الوزراء دان ميريدور الذي قال إن على كيانه إطلاق تحقيقه الخاص في حرب غزة «لتفادي احتمال توجيه اتهامات بارتكاب جرائم حرب لزعماء إسرائيل»، والقيادات الأخرى الفاعلة، وفي مقدمهم رئيس الوزراء بنيامين نتانياهو، والقيادة العسكرية التي أعلنت، على لسان وزير الحرب ايهود باراك، أنه «لا حاجة للجنة تحقيق فكل المواضيع والشكاوى التي وردت في تقرير غولدستون فحصت وتفحص داخل الجيش على يد ضباط رفيعي المستوى، وليس هناك داع لإعادة الفحص».

أسباب وحيثيات هذا الذعر الصهيوني من التقرير الذي «لا يريد أن يذهب على الفور إلى جحيم كل التقارير»، وفق ما يرى افيعاد كلاينبرغ في «يديعوت أحرنوت»، تتجاوز، في الواقع، قضايا تعاظم تأثير وسائل الإعلام، بما فيها القنوات التلفزيونية ومواقع الإنترنت، على الرأي العام، والحضور المكثف لمنظمات حقوق الإنسان وقدرتها على تحريك سياسات قضائية وحملات مقاطعة وانتزاع قرارات من الحكومات في الغرب، كما تتجاوز مسألة محاكاة التحقيقات التي تلت عمليات القتال في كوسوفو عام ١٩٩٩، وحرب أرتيريا- إثيوبيا، والقتال في إقليم دارفور، وحرب روسيا وجورجيا في صيف ٢٠٠٨، وتتموضع مباشرة في ميادين السياسة التي تفصح بأن ثمة ملامح جديدة ترتسم في خريطة العلاقات الدولية، وذلك بعد الفشل الأميركي السياسي والعسكري المتدحرج في مناطق متعددة من العالم، ولا سيما في العراق وأفغانستان، واضطرار واشنطن، ومعها عواصم الغرب الأخرى، إلى انتهاج الحوار كأسلوب رئيسي للتعاطي مع إيران وملفها النووي، في مقابل تظهير حرب تموز/ يوليو ٢٠٠٦ مكامن الضعف في مفاصل الكيان الصهيوني الذي يحاول استعادة ما يسمى «قدرة الردع» عبر تعديل نظريته الأمنية، وإجراء سلسلة من المناورات العسكرية، كان آخرها المناورة المشتركة مع الأميركيين، والتعويض عن هذا «التهتك الاستراتيجي» من خلال تهويد مدينة القدس بشكل كامل وتصعيد عمليات الاستيطان في أنحاء الضفة الغربية كافة، بعد أن كسب معركته، بهذا الخصوص، مع الرئيس أوباما، وتسليم الأخير بالاستيطان وذرائعه.

ولعل أبرز تعبير عن ذلك هو انضمام عدد من الدول، التي كانت تؤيد تل أبيب ومواقفها بشكل روتيني وتلقائي إلى قائمة مؤيدي تقرير غولدستون.

على أن ذلك لا يعني توقع الكثير من قرار مجلس حقوق الإنسان الذي حاول البعض استخدامه كمعادل موضوعي لفطرسة وجرائم الاحتلال، بدلاً من اعتباره أداة إضافية للضغط على مجرمي الحرب الصهاينة، حيث بدا جليا، ومنذ إشهار غولدستون تقريره، أن تل أبيب لن تقف مكتوفة الأيدي أمام هذا الخطر المستجد، وقد بدأت تحركها عبر الضغط، وواشنطن، على السلطة الفلسطينية التي طلبت، وفقا لذلك، تأجيل مناقشة التقرير ستة أشهر قبل أن يضج الشارع الفلسطيني برمته ويضطر رئيس هذه السلطة إلى طرح الموضوع مرة أخرى في مجلس حقوق الإنسان ويقر التقرير بأغلبية ٢٥ صوتا، ما حمل القيادة الصهيونية على حث الخطا باتجاه بلورة حملة دبلوماسية مبرمجة لوأد توصيات التقرير، ومنعه من الوصول إلى مجلس الأمن الدولي، ومن ثم إلى محكمة الجنايات الدولية، وفق الآليات المفترضة.

الترجمة العملية لهذا المسعى المتوقع أن يتخذ أشكالا متعددة ومتنوعة لا أخلاقية، بدأت من خلال شن هجوم شرس على القاضي غولدستاين ونعته بـ «اليهودي الكاره نفسه»،

وذلك على رغم إعلانه بأنه «ساند إسرائيل» طوال حياته، وأنه ما زال يدعمها، وتصريحه لصحيفة «لي تن» السويسرية، قبل التصويت على التقرير، بأن مسوّدة القرار أحزنته «لأنها لا تتضمن سوى مزاعم ضد إسرائيل، وليس فيها عبارة واحدة تدين «حماس»، مثلما فعلنا في التقرير»، كما تناولت مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة الذي اتهمه وزير المالية الصهيوني يوفال شطاينتس «بمعاداة السامية»، واعتبار تصويته على التقرير بمثابة «محاولة لا سامية لإقرار أن ما هو مسموح للولايات المتحدة في أفغانستان ولروسيا في الشيشان ولتركيا في شمال العراق، محظور على دولة «إسرائيل»، التي تدافع عنها من قطاع غزة»، على حد زعمه، فضلا عن تناول الحملة لنصوص التقرير الذي اعتبره، على لسان نائب رئيس الوزراء، ووزير التنمية الإقليمية سيلفان شالوم، «منحاز وملفق»، و«لا داعي لتنفيذ أي من توصياته»، حيث إن، والكلام لوزير الداخلية الصهيوني إيلي يشاي «الجيش «الإسرائيلي» تعامل مع (المدنيين) الأبرياء بقفاز من حرير»، خلال الهجوم على غزة!!

هذه التوصيفات والمواقف التي تترجم مركبات التطرف والعنصرية والكذب التي تلف التجمع الصهيوني، انتظمت حول عقد «المعركة الدبلوماسية الطويلة»، التي توعد رئيس الوزراء الصهيوني بنيامين نتنياهو بخوضها لـ «إسقاط الشرعية» عن تقرير غولدستون الذي «ربما يقوض عملية السلام في الشرق الأوسط التي ترعاها الولايات المتحدة»، وفق زعم نتانياهو، التي بدأت تباشيرها بمطالبة وزير الخارجية الصهيوني المتطرف أفيغدور ليبرمان أمين عام الأمم المتحدة بان كي مون عدم تحويل التقرير إلى مجلس الأمن، ولهذه الغاية، واستباقا لاحتمال مواجهة القادة الصهاينة محاكمات بشأن ارتكاب جرائم حرب في الخارج، قامت الحكومة الصهيونية بتشكيل لجنة للتعامل مع العواقب القانونية الدولية لتقرير غولدستون. وأصدر رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو تعليمات إلى مسؤولين حكوميين لإعداد مسودة اقتراحات لتغيير قوانين الحرب الدولية. فيما تواصل وزارة الخارجية الصهيونية، وفق ما ذكرت صحيفة «إسرائيل اليوم»، إعداد ملف خاص ضد القاضي غولدستون وأفراد طاقمه، حيث ستقوم بجمع المعلومات عنهم بحثا عما يمكن أن يسهم في الطعن بمصداقية التقرير. وهي، حسب مصادر في الوزارة، «مجرد خطوة هامشية من جملة خطوات تعتزم الوزارة اتخاذها، ومنها خطوات سياسية وقضائية أخرى إضافة إلى نشاطات إعلامية في العالم». ما يرجح مضي حكومة نتانياهو في رفض التعاطي مع التقرير، ولا سيما مطالبته تل أبيب فتح تحقيق مستقل في الجرائم المنسوبة إليها، أقله من أجل «وقف تداعيات التقرير ومنع وصوله إلى محكمة الجنايات الدولية، وفق ما تطالب به دول العالم.

ولأن المحطة الأساسية في رحلة التقرير هي محطة مجلس الأمن، فقد بدأت تل أبيب، وبالأخص بعد إعلان المتحدث باسم الجمعية العامة للأمم المتحدة، أن الجمعية ستبحث في تقرير غولدستون قبل أواخر السنة الجارية، معركتها على هذه الجبهة بالتعاون مع الولايات المتحدة التي كانت أدت وجود شوائب في التقرير، إذ، وبعد ضمان وقوف واشنطن إلى جانبها في «معركة غولدستون»، وفق ما وعدت السفيرة الأميركية في الأمم المتحدة سوزان رايس، التفت الجانب الصهيوني إلى ما يعتبره «الأطراف الرخوة»، التي لا يمكن الاطمئنان إلى مواقفها حيال الكيان، وبالتحديد العضوين الدائمين في مجلس الأمن، روسيا والصين اللتين صوتتا بالموافقة على تقرير غولدستون في مجلس حقوق الإنسان، وبدأ بالإعداد لحرب نفسية وسياسية ودبلوماسية ضدها، حيث زعم دبلوماسي صهيوني كبير، لوكالة «فرانس برس»، أن روسيا أكدت للمسؤولين الصهاينة

أنها ستعارض بحث تقرير غولدستون في مجلس الأمن الدولي، وهو ما تقاطع مع توقع القاضي غولدستون بأن تعارض الولايات المتحدة وروسيا والصين مناقشة تقريره بشأن جرائم الحرب الصهيونية في غزة أمام مجلس الأمن الدولي، تمهيدا لإحالته للمحكمة الجنائية الدولية. الأمر الذي نفاه المتحدث باسم الخارجية الصينية، في مقابل عدم صدور توضيح رسمي روسي حيال هذه التقديرات والمزاعم.

في كل الأحوال، وبصرف النظر عن مآل تقرير غولدستون الذي ستثبت الأيام، والجهد الفلسطيني والعربي بالأساس، إن كان سيشكل مدخلا لنمط جديد من التعاطي الدولي مع الكيان الصهيوني الذي يعتبر نفسه فوق القوانين والتشريعات الدولية، أم أنه سينضم إلى لائحة تقارير الإدانة الدولية الطويلة، فإن ثمة جديداً في البيئة الحاضنة وفي نصوص التقرير، أشار إليه رئيس المعهد الدولي للتحقيق في جرائم الحرب وليام شاباس عندما اتهم رئيس الوزراء الصهيوني بنيامين نتنياهو بـ "خرق الأحكام الدولية لجرائم الحرب"، مبدداً أوهاما رددها نتنياهو حول تغيير هذه الأحكام للإفلات من التبعات القانونية لجرائم الكيان خلال عدوانه على غزة في الشتاء الماضي، ومعتبرا أن مبادرة نتنياهو لتغيير الأحكام الدولية المتعلقة بجرائم الحرب مهمة مستحيلة وغير واقعية، ما يجعل من الممكن توقع أن يتحول الكيان الصهيوني، في المدى المنظور، أقله على مستوى الرأي العام في أنحاء العالم كافة، إلى دولة تمتهن خرق القوانين الدولية، وكيان تمييز عنصري فاضح ينبغي، ضمنا، الشك وإعادة النظر في شرعية وجوده.

Digitized by Birzeit University Library

القانون الدولي يجرّم الكيان الصهيوني لكن لايعاقب قادته!!

مأمون كيوان

منذ صدور قرار تقسيم فلسطين في العام ١٩٤٧ شن الكيان الصهيوني ضد العرب والفلسطينيين حروبا عدوانية وحملات عسكرية انتقامية واغتيالات ومجازر وجرائم حرب بحق المدنيين الفلسطينيين والعرب. تلك الجرائم مجتمعة أو منفردة يمكن تحويلها إلى لوائح أو مذكرات اتهام ليس ضد الكيان الصهيوني تتمحور حول القضايا التالية:

١-الترانسفير: شكل قرار التقسيم أساسا لحرب ١٩٤٨ التي تعتبر بداية «مشكلة اللاجئين الفلسطينيين» حيث تم إخراج الشعب الفلسطيني من وطنه فلسطين بالقوة والقتل والإرهاب، وتمت إزالة شعب بأكمله من أرضه ونقض حقوقه التاريخية الثابتة وتم اقتلاع وتهجير ٨٠٠ ألف أي ٨٠٪ من السكان الفلسطينيين وتدمير ٥٣٠ قرية وبلدة.

وقد اتخذت الحلول المقترحة المستندة إلى القرار ١٩٤ الصادر عن الجمعية العمومية للأمم المتحدة بتاريخ ١٩٤٨/١٢/١١، والذي نص على ما يلي: «تقرر وجوب السماح بالعودة، في أقرب وقت ممكن، للاجئين الراغبين في العودة إلى ديارهم والعيش بسلام مع جيرانهم، ووجوب دفع تعويضات عن ممتلكات الذين يقررون عدم العودة إلى ديارهم وعن كل مفقود أو مصاب بضرر». اتخذت ثلاثة أشكال هي: العودة والتعويض والتوطين جرى الجمع بينهم في مشاريع وقرارات دولية مختلفة.

٢- ضم القدس: إثر صدور القانون الأساسي -قانون أساسي: القدس عاصمة للكيان الصهيوني عبر المجتمع الدولي عن استنكاره وانتقاده الشديدين لهذه الخطوة وبتاريخ ١٩٨٠/٨/٢٠، اتخذ مجلس الأمن الدولي قراره رقم ٤٧٨ الذي أدان فيه «وقرر أن جميع الإجراءات والأعمال التشريعية و الإدارية التي اتخذتها «إسرائيل» القوة المحتلة، والتي غيرت معالم مدينة القدس الشريف ووضعها واستهدفت تغييرها، خصوصا «القانون الأساسي» الأخير بشأن القدس، هي إجراءات باطلة أصلا ويجب إلغاؤها». ودعا المجلس الدول التي أقامت بعثات دبلوماسية في القدس إلى سحب هذه البعثات. وفعلا قامت ١٢ دولة من مجموع ١٣ ، بسحب سفاراتها من القدس، ولم تبق سوى سفارة كوستاريكا. لكن الكيان الصهيوني ، وكما في السابق، استمر في رفضه التقيد بقرارات مجلس الأمن ذات العلاقة.

وكررت الجمعية العامة طلبها المذكور في قرارها رقم ٢٢٥٤ بتاريخ ١٩٦٧/٧/١٤، أما مجلس الأمن الدولي فقد أصدر قرارات كثيرة بهذا الشأن أيضاً. ففي قراره رقم ٢٥٢ بتاريخ ١٩٦٨/٥/٢١ شجب عدم امتثال الكيان الصهيوني لقرارات الجمعية العامة واعتبر « جميع الإجراءات الإدارية والتشريعية، وجميع الأعمال التي قام بها الكيان الصهيوني بما في ذلك مصادرة الأراضي والأملاك التي من شانها أن تودي إلى تغيير في الوضع القانوني للقدس، هي إجراءات باطلة، ولا يمكن أن تغيير في وضع القدس.» وعندما قام الكيان الصهيوني ببناء المستعمرات الصهيونية في المناطق التي ضمتها إليها ومن ضمنها القدس الشرقية، ولم تمتثل قراراته بعدم تغيير معالم القدس ومكانتها، ولم تتعاون مع لجنته التي ألفت لدرس الوضع المتعلق بالمستعمرات في الأراضي العربية المحتلة بما فيها القدس، أصدر مجلس الأمن قراره رقم ٤٥٢ بتاريخ ١٩٧٩/٧/٢٠ الذي جاء فيه أن المجلس يعتبر «سياسة إسرائيل في إقامة المستوطنات على الأراضي العربية المحتلة ليس لها مستند قانوني وتشكل خرقاً لاتفاقية جنيف الرابعة المتعلقة بحماية المدنيين في المجلس لاحقاً « الضرورة الملحة لإنهاء الاحتلال المطول للراضي التي تحتلها إسرائيل منذ عام ١٩٦٧، بما في ذلك القدس.»

٣- القتل خارج القانون: تعتبر عمليات الاغتيالات والتصفيات التي مارسها الكيان الصهيوني بحق الفلسطينيين انتهاكاً صارخاً لمعايير القانون الدولي الإنساني العرفي والتعاقدي، وإعداماً خارج نطاق القانون، وانتهاكاً لمعايير حقوق الإنسان. فالمادة الثالثة من اتفاقية جنيف الرابعة والخاصة بحماية السكان المدنيين وقت الحرب.

وتعد سياسة الاغتيالات، التي ينتهجها الكيان الصهيوني ضد الفلسطينيين، وفقاً لمبادئ القانون الدولي العام، والإنساني، ضمن نطاق حالات الإعدام غير القانوني. أو الإعدام دون محاكمة، وحالات القتل العمد والإرهاب. من ثم تتحمل إسرائيل المسؤولية الجنائية والمدنية عليها، في آن، وما تقوم به سلطة الاحتلال من انتهاكات، وعمليات تصفية يعطي الفلسطينيين، كمتضررين من هذه الانتهاكات، الحق في المساءلة المدنية، لكيان الاحتلال الإسرائيلي، وطلب تعويض الأفراد المتضررين، ولا يعفي الكيان الصهيوني بتنفيذه تلك الطلبات، من الوقف الفوري لأعماله غير الشرعية، وعن مسؤوليته الجنائية الدولية، لأن الشق الجنائي لا يسقط، بتنفيذ الشق المدني. عليه يكون من حق الفلسطينيين ملاحقة ومساءلة الآمرين، الذين أمروا بارتكاب تلك الجرائم على أرضها، سواء كانوا عسكريين، أو ساسة، أو رجال دولة، ولا يسري التقادم المسقط، المعمول به في التشريعات الجنائية الداخلية، على الجرائم الدولية، ما يعد من أهم الضمانات التي تضمن للشعب الفلسطيني حقه في القصاص.

٤- دولة «غوانتانامو»: مارست سلطات الاحتلال الإسرائيلي أشكالا مختلفة من الانتهاكات لحقوق الأسرى التي تعتبر انتهاكات للقيم والقوانين الإنسانية والدولية، ومن أخطر تلك الممارسات: أ- إساءة المعاملة والتعذيب الجسدي والنفسي ، ب - حرمان المعتقلين من زيارة الأهل والأقارب، ت - الحرمان من الرعاية الصحية، ث- العزل: الذي يعتبر من أقسى أنواع العقاب الذي تلجأ إليه إدارة السجون الصهيونية. و الدوافع الحقيقية من وراء استخدام سياسة العزل تكمن في: عزل المعتقلين بسبب مكانتهم القيادية وسعة اطلاعهم وعمق تجربتهم وتأثيرهم على بقية المعتقلين . عزل المعتقلين ضعاف النفوس بهدف الإيقاع بهم وإجبارهم على التعاون مع المخابرات الإسرائيلية . عزل المعتقلين وزجهم بين صفوف السجناء الجنائيين والعملاء بغية تشويه سمعتهم والإساءة لهم . عزل المعتقلين بسبب خطورتهم وسلوكهم على حد زعم مخابرات الكيان الصهيوني . عزل عدد من المعتقلين خوفاً على حياتهم من قبل زملائهم السجناء الأمنيين.

٥- المحرقة المصغرة: بعد حصار قاس، ارتكب الجيش الإسرائيلي في عدوانه على الفلسطينيين في قطاع غزة من خلال قصف الأماكن السكنية للمدنيين والمستشفيات ودور العبادة والاغتيالات والمجازر، سلسلة جرائم حرب تضاف إلى سجله الأسود الكبير في مجال الإرهاب واقتراف جرائم الحرب.

وزعم الصهاينة أن جيشهم يتمسك بقدسية «طهارة السلاح»، وأنكروا مسؤوليته عن سقوط آلاف القتلى والجرحى والمفقودين والأسرى وتدمير البنى التحتية والمؤسسات التربوية الفلسطينية والدولية. بل اعتبروا أن استخدام الجيش الإسرائيلي لسلاح الفوسفور الأبيض لا يخالف القوانين الدولية.

وهذه ليست المرة الأولى التي تستخدم فيها إسرائيل قذائف فوسفورية ضد المدنيين، فقد سبق لها أن استخدمته خلال عدوانها على لبنان في ٢٠٠٦ ، (وهي اعترفت باستخدامه ضد أهداف «عسكرية لا مدنية»، وهو ادعاء زائف وصور الضحايا شاهدة على ذلك) وكذلك خلال اجتياح بيروت في١٩٨٢ .

وقد أطلقت نداءات بالتحقيق مع الكيان الصهيوني بشأن جرائم حرب في قطاع غزة، و رفعت ٩٠ منظمة دولية أغلبها فرنسية دعوى لمحكمة الجزاء الدولية في لاهاي ضد إسرائيل بتهمة ارتكاب جرائم حرب ضد الفلسطينيين في غزة.

٦- دفن النفايات النووية: قامت السلطات الصهيونية خلال السنوات الأخيرة بدفن كميات ضخمة من النفايات السامة والكيماوية في نحو خمسين موقعا في الضفة الغربية وغزة، منها موقع جنوب مدينة الخليل طردت سكانه البدو ومنعت الدخول إليه أو التجول قريبا منه، بعدما دفنت فيه حاويات ضخمة مغلقة. وموقع آخر دفنت فيه نحو خمسين ألف طن من النفايات الخطرة بالقرب من مستوطنة غوش قطيف في غزة في حفرة مساحتها خمسة آلاف متر مربع وعمقها ثلاثون مترا. وصور فلسطينيون عملية الدفن.

إن ما تم عرضه من لوائح اتهام بحق الكيان الصهيوني يجب أن تشمل رعاتها أيضا. ولعل الحكم العادل يتمثل في قرار دولي يقضي بمقاطعة الكيان الصهيوني تمهيدا لقرار تفكيكه ليصبح العالم أفضل بلا الكيان الصهيوني . فهذا الكيان سبب رئيسي للاضطرابات وحالة اللا استقرار.

إجمالا، يعتقد أنه يجري تطبيق القانون على الدول الضعيفة فقط .. وهنا يظهر ما تطبقه إسرائيل من هذه القرارات والقوانين وإذا اعتبرنا إن الكيان الصهيوني لم يطبق ٤٠ قرارا لمجلس الأمن وأكثر من ٦٠٠ قرار للجمعية العامة للأمم المتحدة يؤكد إن القانون يطبق على الضعيف فقط.

Digitized by Birzeit University Library

السودان في مواجهة المشاريع المعادية للأمة العربية

جسر العرب إلى إفريقيا يدفعف ضريبة دوره وثرواته وإمكانياته الواعدة...

...وكونه واحداً من أقطار الأمة المهمة التي تشكل واحدة من روافع نهوضها.

عبد اللطيف مهنا

في سياق استهدافات المشروع الغربي المعادي تاريخياً في وطننا العربي، والهادف بدايةً إلى منع وحدته، وبالتالي الحؤول دون احتمالات نهوضه وتقدمه، وما يعني العمل على تمزيقه وتفتيته وتجزئة المجزأ فيه، لتسهيل عملية السيطرة على حراكه فالهيمنة الكاملة عليه ومن ثم نهب ثرواته. هذا المشروع، الذي بدأ مع بدايات الحقبة الاستعمارية قبل ما ينوف على القرون الأخيرة الثلاثة، مروراً بمؤامرة اغتصاب فلسطين، وإقامة الدولة المانعة، التي هي الكيان الصهيوني لعزل مشرقه عن مغربه، وما تبع حتى يومنا هذا...في سياق استهدافات هذا المشروع، تعرضت وتتعرض الأقطار العربية جميعاً وعلى الأخص تلك التي ترشحها أحجامها وأوزانها وأدوارها وثرواتها وإمكانياتها للعب دور الروافع المطلوبة لنهوض الأمة وتحقيق وحدتها وتقدمها، أو ما يعني أخذها للمكان اللائق بتاريخها ودورها الحضاري الإنساني وطاقاتها بين سائر الأمم...تم إخراج مصر من الصراع العربي الصهيوني عبر كامب ديفيد، وبالتالي إفقادها دورها القيادي والريادي العربي..الصراع الداخلي الدامي المدمر الذي جُرَّ له القطر الجزائري منذ حوالي ما ينوف عن العقد بغية إعاقة صعوده الواعد الذي لاح بعيد انتصار الثورة.. غزو العراق واحتلاله وتدمير كافة ركائز الدولة فيه، باعتباره دائماً مرشحاً لأن يكون واحداً من تلك الروافع الأساسية في هذا النهوض، الذي هو موضوعياً ضرورة وشرط بقاء وضمانة وجود... فمحاصرة سورية آخر قلاع الأمة الممانعة... إشعال كافة بؤر التوتر العرقية والثقافية المتيسرة في السودان بغية تفتيته وتمزيقه، لما له من دور حضاري تاريخي ومستقبلي كجسر يربط أمتنا بجوارها الإفريقي، ولما فيه من ثروات دفينة يسيل لها لعاب الغرب، وإمكانيات كبيرة تعد ذخيرةً قوميةً، أقلها أنه يشكل كما يقال سلة غذاء الوطن العربي المستقبلية.

في هذا العدد رأت أسرة تحرير «فتح» أن يكون ملفه متعلقاً بمعالجة مثل هذه الحقيقة واستحقاقاتها التي يعيشها الوطن العربي في هذه الحقبة المصيرية الخطرة التي تتهدد مستقبل أمتنا برمتها، وحيث كل قضاياها جميعاً على اختلاف أقطارها واحدة لا تتجزأ، وعليه، فملف هذا العدد سوف يعالج الهموم والمشاكل والأخطار والمحاذير التي يواجهها القطر العربي السوداني الشقيق. هذا الذي يواجهه في جنوبه وغربه وشرقه وشماله بؤر توتر، منها مزمنة ومنها مفتعلة تغذيها الأطماع الخارجية وتحرص على أن تصب الزيت على نار قضاياها كلما طوقت أو خبت أو لاح ما يبشر بانطفائها. وعليه، تنشر «فتح» في هذا العدد سلسلة مقالات أربع مجتمعة في ملف واحد، كتبها الأخ عبد اللطيف مهنا، عضو اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني-فتح مفوض الإعلام والدراسات، كنا سابقاً قد نشرنا واحدة منها، نعيد نشرها مع الثلاث اللواتي تليها لأهمية التسلسل وما يربطها مجتمعة، تعميماً للفائدة وتفادياً للنقص الناجم عن تجزأتها.

السودان وجنوبه... الوحدة أم الانفصال ؟

يومًا بعد يوم يقترب السودان من موعده مع استحقاق مصيري هو الاستفتاء على بقاء وحدة جنوبه مع شماله أو انفصاله... موعد، اختطته له اتفاقية نيفاشا المعقودة بين الخرطوم والحركة الشعبية لتحرير السودان، الحركة الجنوبية المتمردة على السلطة المركزية في الشمال (سابقا). ومع اقتراب هذا الموعد المستوجب، تتصاعد وتيرة القلق والتوتر والتحفز لدى الأطراف المعنية شمالاً وجنوبًا، لكنما، وهنا المفارقة، قد يبدو القلق في الوطن العربي على مصير وحدة السودان من جزاء ما قد ينجم عن مثل هذا الاستفتاء الذي سيذهب إلى الجنوبيين، هو أعلى مما يظهره السودانيون أنفسهم، الأمر الذي قد يصعب تفسيره بالنسبة لمن هم سواهم من العرب. هل هو لأن خيار الوحدة بالنسبة للجنوبيين، ووفق ترجيح بعض المتفائلين من أهل السودان، قد غدا الآن أقرب من ذي قبل؟ وهنا يمكن هؤلاء سوق شواهد عديدة، أم أن انخفاض حدة هذا القلق، ولو ظاهريًا، هو ناجم فحسب عن طبيعة السودانيين المعروفة الأميل إلى الهدوء؟ أم أن الشماليين قد ملّوا الصراع وكلفته الثقيلة متعددة الأوجه، التي لاحقتهم طيلة عقود الاستقلال، فوصلوا مكرهين إلى قناعة مؤداها إما وحدة بمعروف أو انفصال بمعروف، وهذا ما سبق وأن عبرت عنه قوى شمالية علنًا وبالفم الملآن؟! على أية حال، الاستفتاء قادم، والأطراف تتأهب لاستحقاقاته وتستعد ليومه الموعود، وهناك أحداث كثيرة تسبقه في الساحة الجنوبية تجعل من الصعب إصدار أحكام قيمة لا تنسجم مع التعقيدات الكثيرة والتي تزداد مع اقتراب الموعد وتجعل من كلا الخيارين أمرًا مرجحًا. فنظرة متفحصة للتفاصيل الجنوبية تجعلنا نحن الناظرين إلى السودان من خارجه ندرك مدى مثل هذه التعقيدات وصعوبة توقع ما قد تفضي إليه، وما قد يطرأ خلال هذه المدة المتبقية التي تفصلنا عن هذا الاستحقاق المصيري المقبل بالنسبة لهذا البلد العربي المستهدف، ليس في جنوبه فحسب، وإنما في غربه وشرقه وحتى شماله، ولما يعنيه من أهمية وفرادة في الجسم العربي، أقله كونه يشكل رابطًا حضاريًا وثقافيًا وتاريخيًا بين الأمة العربية وإفريقيا. وإذا كان اتفاق نيفاشا المبرم في كينيا وبرعاية غربية مباشرة قد وقعته الحكومة السودانية المركزية، أو حزب المؤتمر الوطني الحاكم، مع الحركة الشعبية لتحرير السودان الجنوبية المتمردة بقيادة زعيمها الراحل الدكتور جون قرنق، فيجدر بنا والحالة هذه أن نبدأ بهذه الحركة، التي تتعالى اليوم بعض الأصوات فيها تنذر مرجحة خيار الانفصال، لا سيما في سياق بعض المزايدات بين أطرافها، أو ما تبديه من الاحتجاجات المتعلقة بخلافاتها مع شريكها في الاتفاقية والحكم، أو في ضوء محاولاتها حجب الصورة السيئة التي لحقت بها بعد أن أعطاها الاتفاق سلطتها الراهنة على الجنوب، وما ساد خلالها من مظاهر التسلط والفساد المستشري وتفاقم الأوضاع الحياتية المزرية للجنوبيين، إلى جانب ظاهرة المذابح المتتالية الناجمة عن الصراعات القبلية العنيفة المتعاظمة هذه الأيام.

كما هو معروف للحركة ذراعها العسكرية الجيش الشعبي لتحرير السودان، وهو المسيطر ميدانيًا وليس جناحها السياسي، وذو السطوة هذا تسيطر عليه قيادات ومؤسسات عائدة لقبيلة واحدة هي الدينكا. أما على المستوى التحتي، فهو مشكل من ميليشيات قبلية متعددة، فلكل قبيلة مشاركة في الجبهة الشعبية وحداتها العسكرية على رأسها جنرال يسمى قائدًا ميدانيًا، حيث بلغ عديد هؤلاء ما يقارب المئة والستين جنرالاً. إلى جانب كون الدينكا ذاتها مكونة من مجموعات دينكاوية مختلفة وتقطن جغرافيات متعددة أيضًا، ومنها، دينكابور، قبيلة زعيم الحركة الراحل الدكتور جون قرنق، ودينكا بحر الغزال، قبيلة نائب رئيس الجمهورية وخليفة قرنق سلفا كير، ودينكا أبيي، قبيلة وزير الخارجية السوداني الحالي، ودينكا رومبيك إلخ. تلي الدينكا في الأهمية قبيلة النوير، التي يتقاسم زعامة عناصرها في الحركة ريك مشار المنشق عن الحركة والمنضم للحكومة سابقًا ثم العائد للحركة لاحقًا، والداعي الآن لانفصال الجنوب، وجون لوك المطالب بانفصال النوير عن الجنوب وعدم الخضوع للدينكا، بعدهما تأتي قبيلة الشلك، التي يتنازع التأثير على عناصرها كل من باقان أموم رئيس الحركة

Digitized by Birzeit University Library

ذي التوجه الانفصالي، المزاود على منافسة الدكتور لام أكول، القيادي التاريخي ووزير خارجية السودان السابق، المنشق عن الحركة لاحقًا ليؤسس حركته التصحيحية المناوئة للفساد، وهو وحدوي الميول... وبعد هذه المجموعات الكبرى الثلاث يأتي عديد القبائل النيلية التي تقدس غالبيتها المطر، والقبائل الاستوالية ذات الغلبة الأرواحية، التي تعارض سطوة الدينكا، والتي تميل بالتالي للانفصال عن الجنوب إذا ما انفصل عن الشمال، والالتحاق بأبناء عمومتها الأوغنديين والدول الإفريقية المحاذية، مثل قبيلتي اللاتوكا والأشولي، والأخيرة قبيلة الرئيس الأوغندي السابق عيدي أمين، وهي في غالبها مجموعات متعاطفة مع ما يسمى «جيش الرب» الأوغندي المتمرد على كامبالا... أما القبائل غير المنخرطة في التمرد، أو هي خارج الحركة الشعبية فهي إجمالًا ليست معها، يقارب تعداد الجنوبيين السبعة ملايين نسمة، ثلاثة ملايين منهم يعيشون في الشمال، وهذه سبعة الملايين منها ما يقارب المليونين من المسلمين، والمليون ونصف من المسيحيين الإنجيليين، وثلاثة ملايين ونصف تقريبًا من الأرواحيين... ما هو موقف كل هؤلاء من مسألة الوحدة والانفصال؟ يمكن القول إن المسلمين هم مع الوحدة إجمالًا، وهم في غالبيتهم من مجموعة الفرتيت التي يتزعمها الشيخ أحمد الرضا الجابر، إلى جانب بعض قبيلة الدينكا نفسها، من جماعتي الشيخين أبو بكر دينغ وعبدالله دينغ نيال المنتميين إلى الحركة الإسلامية. أما المسيحيون، فهم إلى جانب وقوعهم تحت تأثير المبشرين الإنجيليين، ويتفشى بينهم شهود يهوه، فيميل غالبيتهم إلى الانفصال وينقادون للنزعة الانفصالية لمتعلمي الدينكا ذوي العلاقات الواسعة مع الغرب، وغير قريبة العهد مع إسرائيل، والمتينة مع النظامين الأوغندي والكيني المتعاطفين، بل المشجعين لهذه النزعة، واللذين دأبا على المسارعة للتوسط للم شمل الحركة كلما تعرضت للانشقاقات أو دهمتها الخلافات والمثابرة على دعم انفصاليها، بالمناسبة هناك من يتهم الرئيس الأوغندي موسوفيني بأنه وراء مقتل زعيم الحركة الراحل بعد أن سقطت طائرته العائدة من كامبالا في ظروف غامضة لأنه حسم خياره الوحدوي. بقي الأرواحيون، وهم في غالبيتهم مجموعات قبلية وعرقية متفرقة، غالبيتها معزولة نسبيًا في الغابات، حتى أن كثيرًا منهم لا يعرف من هو رئيس السودان، وهؤلاء من غير المضمون أن تصلهم صناديق الاستفتاء، إلى جانب أن الانصياع لدى قبائل الجنوب عمومًا، وليس هؤلاء فحسب، هو لخيار زعيم القبيلة التقليدي الذي تحكمه عادة مصلحته أو من يدفع أكثر، ولعل ما حدث ذات مرة في دائرة الأمام الانتخابية في منطقة البحر الأبيض ما ينبئ بمثل هذا. ففي هذه الدائرة أسقط أهلها وهم من غير المسلمين مرشح الحزب الشيوعي المعارض لتطبيق الشريعة الإسلامية مصوتين لصالح فوز مرشح الإخوان المسلمين المطالب بتطبيقها! ولكي تكتمل الصورة، يجب أن لا ننسى أن ثلاثة ملايين جنوبي يقيمون الآن في الشمال، تحاول الحركة الشعبية جهدها ألا يُمنحوا حق المشاركة في الاستفتاء، لأن الانفصال سوف يفقدهم أعمالهم ووظائفهم ومنازلهم إذا ما صوتوا إلى جانبه، وبالتالي فمن المرجح أن تصوت غالبيتهم ضده. لعله هنا يكمن سر الضجة الراهنة القائمة حول قانون الانتخاب بعد أن تم تجاوز مسألة تشكيل الدوائر. كما يمكن التذكير بأن حوالي المليون من المنتسبين للحركة الشعبية هم شماليون... وهناك من يرى في حسم مسألة تبعية منطقة أبيي، أو تحديدًا مواقع نفطها، إلى الشمال، قد وجه ضربة قوية للانفصال، وأن في الغرب الداعم للتمرد من بات يخشى من أن انفصال الجنوب سوف يؤدي إلى تفكيك أثيوبيا الدائرة في الفلك الغربي، والتي يسمح دستورها الاتحادي لشعوبها بأن تقرر الانفصال وقتما شاءت، فما الذي يمنع شعب الأورومو، مثلًا، التائق تاريخيًا للانفصال من ذلك؟! وإذا ما أضفنا مسألة التسلط والفساد وخلافات زعماء القبائل مع النخبة الانفصالية، وسائر تعقيدات توازن القوى، نخلص إلى سؤال يظل مسلطًا على العرب والسودانيين حتى موعد هذا الاستفتاء المصيري: هل حقًا أن فرص الوحدة قد غدت أكبر من الانفصال؟ هنا تأتي أهمية المسألة الإجرائية... فانون الاستفتاء، من يحق له التصويت، عدم التلاعب... وأكثر من هذا وذاك، على نوايا رعاة الانفصال وداعميه من جبهة القوى الخارجية الساعية لتجزئة المجزأ في الوطن العربي... نأمل أن يكون انخفاض مستوى القلق على الوحدة في السودان له ما يسوغه!

السودان وغربه .. استنزاف لا انفصال !..

قبل أن يغادر منصبه كقائد عسكري للقوة المشتركة للأمم المتحدة و الاتحاد الإفريقي في إقليم دارفور السوداني، لخّص اللواء النيجيري مارتن لوثر أغواي واقع الصراع الدائر بين الحكومة المركزية في الخرطوم ومتمردي الإقليم، بعبارة كانت وحدها كافية لتوصيف راهن حال التمرد هناك، قال: «إن الشيء الوحيد الذي أراه هو أعمال لصوصية وقطع طريق»، قالها، وهو يشير إلى أن الإقليم لم يعد في حالة حرب، وأن المتمردين الذين انشطروا إلى مجموعات صغيرة بلغت العشرين لم تعد تمتلك القوة لمواصلة القتال ضد الحكومة، باستثناء واحدة هي «حركة العدل والمساواة» الأكثر تسليحاً من باقي هذه المجموعات، إذ يرى أنها هي وحدها القادرة الآن على شن غارات عسكرية محدودة... هل ما قاله يعني أن النزيف السوداني في هذا الإقليم هو موضوعياً في طريقه إلى الإيقاف، لا سيّما وقد كثر الكلام عن الوساطات واللقاءات والمبادرات العربية والإفريقية وسواها لجمع شمل المتمردين وسوقهم إلى مائدة المفاوضات مع الحكومة سعياً لتلمس سبل التوافق بين الطرفين على وضع حد لهذه البؤرة السودانية النازفة؟! لكي نصل إلى استنتاج متفائل مثل هذا، لا بد لنا من كثير من الحذر، لا سيما ونحن إزاء صراع له خلفيات وخصوصية مختلفة كل الاختلاف عن ذاك الذي في جنوب السودان، والذي عالجناه في مقال سابق، وإن كان الارتباط بينهما مشهوداً، سنعرض له لاحقاً، وكذا هو الترابط أيضاً بين كامل مشاكل السودان غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً، فالإقليم الذي تبلغ مساحته ٦٥٠،٠٠٠ كيلو متر مربع، أو ما يعادل مساحة فرنسا، والذي يقطنه حوالي ستة ملايين سوداني، جميعهم مسلمون، يفاخرون بأن بينهم أكثر حفظة للقرآن في العالم، يشكلون مزيجاً قبلياً ذا سمات وفروقات عرقية غير واضحة هي بدورها خليط من الأفارقة والعرب، لا زال سليماً من النزعات الانفصالية، وقضايا الصراع فيه بدورها لا تتسم أيضاً بالوضوح، و تتركز حول الاحتجاج على ما يدعى التهميش، وقسمة السلطة والثروة، والتعويضات. لكنما، وعندما يتبدى للمتابع أن المتوسطين قد نجحوا، وأن أطرافه قد شارفت على التوافق على الحلول التي طال أمد التفاوض حولها، وحيث يصبح التوقيع على ما اتفق عليه قاب قوسين أو أدنى، تزداد مطالب المتمردين فجأة ويضاف إليها جديدها، فيما يتضح للمراقب أنه نكوص أو تنصل من ورود مثل هذا الاستحقاق... ويستمر النزيف الدارفوري ومعاناة الدارفوريين وأثقال الكلفة الوطنية للصراع! وبرغم أن بعض الأصوات المتمردة وبعض وسائل الإعلام الغربية تحاول أن تعطي هذا الصراع، الذي بدأ عام ٢٠٠٣، أي بالتزامن مع بدء غزو العراق، بعداً عرقياً مفتعلاً، بزعم أنه إنما يدور بين العرب والأفارقة، فإن هذه المزاعم يدحضها الواقع وتاريخ الإقليم، والذي يقول إنه إذا ما كان هناك من أساس للصراع فإنه لا يتعدى توليد الصراعات القبلية الدائمة، التي يمكن اختصارها بالنزاعات التقليدية بين الرعاة والمزارعين في أوقات الجفاف وابتلاء التصحر، أضيفت له المسائل المطلبية العادلة لاحقاً. قبلياً، يتوزع ستة الملايين سوداني من قاطني الإقليم مناصفةً مجموعتان من القبائل، واحدة لها لهجاتها المختلفة التي تشكل أداة تواصلها الأولى تليها العربية، والأخرى لغتها الوحيدة العربية، وهذه الأخيرة تتشكل من قبائل صغيرة هي حوالي السبعين قبيلة، منها التعايشة، التي تذكرنا بعبد الله التعايشي خليفة المهدي قائد الثورة المهدية التي اندلعت من هذا الإقليم لتعم السودان في حينه، والمحاميد، والصلحة، والهلبة، والزريقات، وبني هيلة، والكبابيش، والحمر...إلخ. أما المجموعة الأولى فعمادها ثلاث قبائل كبرى، جميعها ديارها تقع في الجزء الناظم للحدود التشادية السودانية، ولها امتداداتها التشادية، لكنما أغلبيتها في السودان وكذا شيوخها، وهي الزغاوة، ٦١٪ من عديدها سوداني، و ٣٠٪ تشادي، و ١٠٪ ليبي، وتقطن شمالي دارفور، والفور في وسط دارفور وعديدها السوداني ٦٥٪ والتشادي ٣٥٪، والمسالية الذين منهم ٦٠٪ في السودان و ٤٠٪ في تشاد، وهي قبائل عابرة للحدود وعابرة أيضاً من

Digitized by Birzeit University Library

حيث المشاركة في التمرد في أي من البلدين، أما الولاء عندها فغالباً هو لزعيم القبيلة أولاً.

ومن مفارقات الواقع الحدودي هذا بين السودان وجواره الإفريقي أن التشابك القبلي على جانبيه يفرض وقائع غير معتادة خارج القارة، مثل ما كان خلال الحرب الأهلية التشادية من انسحاب للفصائل المحاربة بكامل عتادها وعديدها إلى داخل السودان، وعندما انهار النظام في إمبراطورية إفريقيا الوسطى انسحب جيشها بكامل أسلحته أيضاً إلى داخل السودان، ومثلهما فعلت أيضاً الميليشيات التي سلحتها الجماهيرية في تشاد ذات يوم. إلى جانب تعرض الإقليم لنشاطات تجارة الأسلحة الدولية العابرة للحدود وواسعة النطاق، الأمر الذي جعل الإقليم مستودع أسلحة لا ينفد، يضاف إلى هذا مفارقة أخرى لها علاقة بطبيعة وظروف قاطني المنطقة وخصوصياتها، وهي أن الحكومة في مواجهة التمرد لجأت إلى تسليح ما يعرف بالجنجويد، أو راكبي الخيول، فانتشر هؤلاء، وهم بدورهم يتكونون من عديد الفصائل، بأسلحتهم في الغابات وبدأوا في فرض شروطهم على الحكومة التي سلحتهم!

إذا هناك علاقة وطيدة بين حالة التمرد والواقع القبلي المحلي، دخلت عليه وحاولت توظيفه عوامل خارجية عديدة... من هم المتمردون ومن هم حلفاء التمرد وداعموه أو مشجعوه؟ للإجابة لا بد لنا هنا من التمهيد لها بالقول، إن الإقليم يختزن، أو جنوبه تحديداً، ثروات باطنية هائلة مطمورة تحت رماله، ومن ذلك، ما يعادل ٦ مليون طن من خام اليورانيوم ترقد عليها تلال جبل مرة، ورابع أكبر مخزون نحاس في العالم يكمن جنوبي دارفور، إلى جانب كميات كبيرة من النفط الخام، الأمر الذي جعل في مقدمة حلفاء ورعاة وداعمي التمرد يأتي الفرنسيون والبريطانيون والأمريكان... طبعاً إلى جانب إسرائيل الساعية وفق الاستراتيجية الصهيونية كما هو معروف إلى تفتيت العالم العربي. ثم يأتي دور الحكومة التشادية التي يسيطر عليها النفوذ الفرنسي والإسرائيلي ويوجهها، والمسيطرة بدورها على حركات التمرد والموجهة لها.

وإضافة إلى هؤلاء، يمكن ذكر حلفاء داخليين للتمرد، مثل الحركة الشعبية لتحرير السودان الجنوبية المتمردة، التي لطالما حاولت الإفادة من تمرد دارفور في صراعها مع المركز في الخرطوم، والمعلوم أن زعيمها الراحل الدكتور جون غرنق قد خطط في مطلع التسعينيات إلى فتح جبهة حرب جديدة ضد الحكومة في دارفور، حيث أرسل حملة مكونة من عشرة آلاف مقاتل إلى هناك، لكنما نجاح الجيش السوداني حينها في القضاء على الحملة قبل وصولها إلى مرتفعات جبال مرة أفشل المخطط. أما من هم موضوعياً الحلفاء الآخرون، فهم بعض أطراف المعارضة السودانية التي في صراعها مع الحكومة على السلطة تحاول توظيف التمرد في معاركها السياسية دون التوقف كما ينبغي وكما يفترض أمام خطره على مستقبل البلد برمته... من هم المتمردون؟

من أهم عناوينهم فصيلان هما «حركة العدل والمساواة» وزعيمها الدكتور خليل، وغالبية منتسبيها هم من قبيلة الزغاوة أو ذات القبيلة التي ينتمي إليها الرئيس التشادي إدريس دبي، وبرنامجها إسلامي الطابع، يعود إلى مدرسة الترابي وأتباعها في غالبهم كانوا من أتباعه. والحركة الشعبية لتحرير السودان، وزعيمها مني أركيناوي، وهي علمانية الطابع وتضم إسلاميين يوصفون بالمعتدلين، وهي كانت وطيدة العلاقة مع الحركة الجنوبية التي كانت قد دربت وسلّحت عناصرها، كما تشاركها نفس العقيدة العسكرية، والبرنامج والدستور، وأيضاً الحلفاء. وهنا يجب أن لا يغيب عن الذهن أن الجنوبيين حاولوا جهدهم، وكما أشرنا آنفاً، توظيف صراع دارفور في مفاوضات نيفاشا. وهذه الحركة اليوم غدت أجنحةً عديدة. جميعها يمكن نسبتها إلى قبيلة الفور، وبدرجة أقل المسالية.

وإذا ما تحدثنا عن التمرد ومن هم المتمردون، فيجب استحضار دور النظام التشادي المهم حيال إستمرار اندلاعه، و النظر لظروف هذا النظام المتعلقة به وتأثيره في المسألة، وهنا، والحالة هذه، يجب عدم إغفال كونه يواجه معارضة مسلحة داخلية شبه دائمة، وعليه، ولكي يحظى بدعم كل من فرنسا وبريطانيا وإسرائيل، وتعاطف الغرب عموماً، فلا بد له من تسعير العداء مع النظام السوداني الحالي ذي اللمسة الإسلامية، كوسيلة مفيدة لاستدرار المزيد من الدعم من جبهة داعميه هؤلاء. ثم حقيقة أن الدعم العسكري الذي يصل إلى المتمردين السودانيين عبر الجامينا يذهب جلّه إلى جيبها، وقليله لحلفائها المتمردين الدارفوريين. فضلاً عما يشاع من علاقة للرئيس إدريس دبي مع تجار الأسلحة الدوليين المحاولين الإفادة من سوق الجرح السوداني المفتوح... والسؤال السوداني الآن، ما هي احتمالات السلام في دارفور؟! دون أن نهمل ما قاله اللواء النيجيري مارتن لوثر أغواي، قائد ما يسمى القوة الأممية الأفريقية الهجين، وهو يودع رمال دارفور، علينا أن لا ننسى أن حركات التمرد هناك لم تعد تملك قرارها، لأنها غدت تمثل تماماً أطراف الصراع الحقيقيين. وعليه، فالأمر في جوهره ليس بيدها... وأخيراً، هناك خطر انفصال يلوح في جنوب السودان، أما في غربه فتدار عملية استنزاف للبلد لا تقل خطورةً عن الانفصال، وهي موضوعياً عامل مساعد له.

السودان وشرقه .. نهاية تمرد أم كمون وانتظار ؟!

لا تقتصر مشاكل السودان ذات الصبغة المصيرية على احتمالات خطر انفصال يلوح أو يُلَوّح به في جنوبه، ولا بلوى تمرد أشبه بحالة استنزاف عبثية مبيتة لا يراد لها توقفاً في غربه، وهذان أمران كنا قد عالجناهما في مقالين سابقين قد تتاليا، وإنما قد تشارك جنوبه وغربه في بعض ما هما فيه باقي جهاته الأخرى، أو بما يرهص بما هو أشبه بحاليهما، وكأنما قدر هذا البلد العربي شبه القارة مساحات، والمتعدد أعراقاً وأقواماً وثقافات، والهائل قدرات وإمكانيات وثروات وذو الموقع الجيوبولتيكي المهم، ثم كجسر حضاري عربي يربط الأمة بجوارها الأفريقي، أن يظل ينوء تحت أثقال ضريبة خصوصيته وموقعه ودوره، وإطماع الطامعين في ثرواته.

بعد عام على توقيع اتفاق نيفاشا المتعلق بإنهاء الحرب في جنوبه، تم توقيع اتفاق سلام أسمرة المتعلق بوقف التمرد الدائر في شرقه في احتفالية رعاها الرئيسان السوداني والإريتري... كان هذا في العام ٢٠٠٦، ومن يومها هدأت جبهة الشرق هذه، حيث حصل المتمردون مقابل هذا الهدوء وكحل للمشكلة على مناصب إدارية وقليل من سياسية، مع وعود تنموية... هل هذا يعني أن المشكلة قد سويت، وأن هذه الثغرة في الجدار السوداني قد سدت؟ هنا لا بد لنا من التوقف ملياً أمام قضايا ثلاث، أولاها، موقع الإقليم وأهميته الجيوبولوتيكية والاقتصادية. وثانيتهما، الدوافع والأسباب والظروف المحلية والداخلية والإقليمية والدولية التي أججت التمرد، ودعمته، ووفرت من ورائه. وكذا، وهنا نأتي إلى ثالثتهما، ذات الظروف المحلية والداخلية والإقليمية والدولية، التي ساعدت على وقفه، أو قضت بتوقيع الإتفاقية التي أعلنت إنهاءه. أي إننا ونحن نتصدى للإجابة على تساؤلنا، لا بد أن نأخذ في الحسبان كافة هذه العوامل لندرك ما إذا كان هذا الهدوء الظاهر، الذي يعيشه الإقليم إثر تنفيذ هذه الإتفاقية، هو ركون نهائي إلى حل منشود ترسّخ أم أنه مجرد كمون مؤقت لنار فتنة تحت رماد إتفاقية فرضتها الظروف المشار إليها آنفاً؟

تنداح تخوم الإقليم المترامية من منطقة القلابات المحاذية للحدود الأثيوبية الغربية مروراً بالحدود الأرترية فكامل الساحل السوداني على البحر الأحمر وحتى مثلث حلايب على الحدود مع مصر، حيث تقع الموانئ السودانية الوحيدة الثلاثة، بور سودان، وسواكن، والميناء النفطي السوداني البشائر. والإقليم الذي يحتوي على أكبر منجم ذهب في السودان في منطقة أرياب والمنتج لما يقدر ما بين خمسة إلى ستة أطنان سنوياً، تقع فيه خزانات المياه الرئيسية في البلاد، مثل خشم القربة، وفيه تتركز المشاريع الغذائية الكبيرة في ولاية القضارف. يضاف إلى ذلك أهميته الجيوبوليتيكية؛ إذ إنه يشكل تماساً مع كل من الجزيرة العربية، عبر البحر الأحمر، ودول القرن الأفريقي... كما أنه وحده يحتكر الخلافات الحدودية مع جيران السودان، والتي، فيما عدا الخلاف مع مصر حول مثلث حلايب، تحرك باقيها الأطماع الأثيوبية والأريترية، حيث مصدر الخلاف مع أثيوبيا يعود لأطماعها في مثلث الفشقة الخصيب المحاذي والمتداخل مع منطقة المتمة الأثيوبية، وهي المنطقة التي يقطنها فرع من قبيلة الجعليين العربية، التي ينتمي إليها الرئيس السوداني البشير ووزير خارجيته مصطفى عثمان طه، والذي كان قد هاجر إليها هذا الفرع الجعلي تجنباً لانتقام والي مصر محمد علي إثر واقعة إسماعيل باشا الشهيرة، ابنه وقائد حملته على السودان، الذي كان أن قضى هؤلاء الجعليون عليه حرقاً مع قيادته... أما مع إريتريا، فتشكل بعض الامتدادات الإثنية لمجموعات قبلية أغلبها رعاة إبل عابرون للحدود يجوبون مناطق جافة، مثل البجا وبني عامر والهدندوا، والتي تبدأ فروعها بالبشاريين شمالاً حيث الحدود السودانية المصرية وتتوغل في عمق الساحل الأريتري جنوباً، ركيزة للأطماع الأريتيرية ودافعاً لها، إذ تضع أسمرة أنظارها على مناطق كسلا والقاش ودلتا طوكر... أما إشكالية مثلث حلايب مع مصر فيعود إلى الحدود التي اختطها الاستعمار البريطاني قبل رحيله، وهي إشكالية لم تكن قيد التداول حتى حادثة محاولة إغتيال الرئيس المصري في أثيوبيا المعروفة، والتي تحركت بعدها القوات المصرية إلى داخل المثلث ولازالت فيه... كيف بدأ التمرد؟

تعود جذور التمرد شرق السودان للاحساس الكامن لدى المجموعات البجاوية تحديداً بنوع من الهوية الخاصة، يغذيه تاريخياً أنه كانت للبجا يوماً من الأيام إمارة خاصة بهم، وكباقي أطراف التمرد في كافة جهات السودان، تتزعم النخب مثل هذه النزعات عادةً ويقتصر هذا بدايةً عليها، إذ بدأ التحرك بعيد الاستقلال مباشرة بانعقاد مؤتمر البجا العام ١٩٥٧، الذي تزعمه طه عثمان بليه. أعقبه مؤتمر في العام ١٩٩٠، والذي يعد بداية للتحضيرات للحركة العسكرية لاحقاً. وهنا تجدر الإشارة إلى العلاقة الوطيدة والمتأثرة حينها بحركات التحرر الأريترية، وخصوصاً جبهة التحرير الأريترية، هذه المرتكزة بشرياً على سكان المنخفضات الأريترية من ذوي الأصول البجاوية. أما المؤتمر الذي عقد فيما بعد في بداية التسعينات، فقد ضمّ نزعات قومية اجتماعية ويسارية وعلمانية. وكانت حركة التمرد هذه شأنها شأن حركات التمرد السودانية الأخرى، تلك التي ترفع بدايةً لواء التهميش سبباً، وهو حقيقي غالباً، ثم تتعالى داخلها عادةً أصوات نخبوية انفصالية

Digitized by Birzeit University Library

ذات نزعات عنصرية، لكننا علينا ملاحظة أن الوضع في شرق السودان هو مختلف في كون أطراف التمرد هنا لا تقتصر على البجاويين وحدهم، وهم الذين لا يشكلون سوى ٣٠٪ من سكان الإقليم، فهناك الطرف الثاني فيما يسمى تحالف جبهة الشرق، وهو الرشايدة، وهم قبيلة عربية ذات تقاليد مغلقة ترفض الاختلاط بسواها، وشكلت فصيلها المقاتل الخاص بها، المعروف بالأسود الحرّة، وهي إذ تتحالف مع البجا لكنما ظلت ترفض الانضمام لمؤتمرهم، كما أنها وباقي السبعين في المائة من سكان الإقليم هي ضد الانفصال... يضاف إلى هذا أن أي شعارات انفصالية عنصرية هنا هي مستقبلاً خاسرة انتخابياً، لا سيما، وعلى سبيل المثال، وأن نفوذ الميرغني الديني في جماهير البجا أنفسهم، والتي في غالبيتها ليست مع الانفصال، هو أكثر تأثيراً من نخبهم المتمردة، ولذا فهذه النخب تشعر بالعداء تجاه زعيم الطائفة الختمية أكثر منه تجاه الرئيس السوداني البشير نفسه! إذن، وكما أشرنا، لقد أسهمت جملة من العوامل، التي تضافر تأثيرها، في إشعال جبْهة الشرق هذه ودعمها ورعاية تمردها، ويأتي هنا في المقدمة النظام الأريتيري، الذي احتضن في حينه كافة صنوف المعارضة لنظام الحكم في السودان بأجنحتها السياسية والمسلحة، ورعى على التراب الأريتري قواعد ومعسكرات لجبهة قوامها، قوات مؤتمر البجا، والتحالف الوطني السوداني المعارض، ولواء مجهز من قوات الحركة الشعبية الجنوبية المتمردة، التي كان زعيمها جون غرنق يرى في تنشيط جبهة شرق السودان ما يخفف الضغط الحكومي عليه في الجنوب. ثم جاءت محاولة إغتيال الرئيس مبارك المشار إليها، وموقف السودان من غزو العراق، فأعطيا التمرد بعداً عربياً رسمياً مشجعاً من قبل بعض الأطراف العربية، لا سيما المؤيدة منها للغزو، بالإضافة إلى أن مسألة تهديد خطوط تصدير النفط وانعكاس ذلك على عملية محاصرة الخرطوم اقتصادياً جعل من أطراف دولية عديدة تبارك التمرد وتدعمه... هذا ما كان، فما الذي تغير فادى إلى الوصول إلى اتفاقية سلام ٢٠٠٦ في أسمرة!؟ إنه تغير التوازنات الدولية والأقليمية والداخلية، وأهمها: تغيّر سياسة النظام الأريتري، الذي رأى أن من مصلحته كسب السودان، أو تحييده على الأقل، في صراعه مع أثيوبيا، بالإضافة إلى كلفة دعمه للتمرد وهو يعيش أزمة تردي اقتصادي مزمنة ومن ثم حاجته الماسة لفتح الحدود مع السودان. ثم توقيع اتفاقية نيفاشا مع الجنوب بحيث لم يعد غرنق في وارد مواصلة دعم حلفاء الأمس. ثم تهدئة الخلافات المصرية السودانية، وانتهاء الخلافات العربية مع السودان تقريباً... يضاف لكل هذا خروج الترابي من السلطة... والآن، وبالإضافة إلى كون اتفاق السلام هذا لم يشمل كل القوى المتمردة، الحركة الوطنية لشرق السودان، مثلاً. ولأن من وقعوها ينقسمون اليوم بين من هو مع الحكومة ومن هو ضدها، ومنهم من اختار خير الأمور الوسط، فما هو مستقبل سلام أسمرة؟ من الطبيعي الإجابة بالقول: إنه يظل رهن التوازنات إياها التي دعمت التمرد سابقاً ثم دفعته لاحقاً للجنوح إلى السلام... ويكفي هنا أن نقول إنه إذا ما اشتعل الجنوب مجدداً، وهذا أمر غير مستبعد، أو عاد التوتر مرة أخرى مع أريتريا، فحينها لا عجب ولا هو بغير المتوقع أن يشهد شرق السودان مرة أخرى حالاً يمكن وصفه، وببساطة، بأنه إنما عود على بدء!

السودان، وباقي بؤر التوتر الست ورابطها الجنوبي

لا تقتصر بؤر التوتر ذات التأثير بعيد المدى، على مستقبل السودان، ووحدته واتجاهات مصيره، أو تماسك موزاييك تنويعاته المتعددة في خارطته الثرية الراهنة، على ما كنا تعرضنا لها في المقالات السابقة. أي على تلك البؤر الثلاث التي استوطنت جنوبه وغربه وشرقه. وإنما يمكن إضافة ثلاث أخرى لها، لسوف نتعرض لها مجتمعة في هذا المقال الأخير حول السودان. اثنتان منها شهدتا تمردين عسكريين، خمدا الآن، أو أخمدتهما المتغيرات التي طرأت على العوامل الداخلية والخارجية، التي كانت قد أشعلت فتيلهما ثم أطفأتهما إلى حين عندما تبدّلت، وبالتالي أسهمت هذه المتغيرات فيما يعرف باتفاقات السلام التي عقدت بين الحكومة المركزية في الخرطوم ومتمرديهما، أي تماماً شأنهما شأن ما جرى مع متمردي الشرق. أما الثالثة فثقافية السمة لم تصل بعد إلى حدود العنف المسلح، لجملة من السمات والظروف المختلفة المحيطة بها، وإنما إلى ما هو من الممكن وصفه بحالة من التبرم، الذي قد لا يقل بتعاضده مع سواه خطورة في المستقبل على النسيج السوداني الثري وعروبة هذا القطر ذي الخصوصية الفريدة. وإجمالاً، فإن كل بؤرة من بؤر التوتر الست في الجسد السوداني المترامي هذه لها خصوصيتها وظروفها، وإن كان قد غذّاها جميعاً وأسهم في بعثها وكان المحرض المباشر لها طوال الحقبة الماضية طرف واحد هي مرتبطة أو وثيقة الصلة به. إنه التمرد في الجنوب، هذا الذي رأى في بعث سواه من التمردات عوامل ضغط مساعدة له في مواجهة المركز وإضعافه، فالذي يسهّل بالتالي له تحقيق أهدافه. ويمكن القول إن مستقبل جنوب السودان إن كان وحدة أم انفصالاً، أو مستقبل اتفاق نيفاشا، سيكون له الأثر البعيد في إطفاء باقي البؤر الخمس أو إذكائها. هذه البؤر الثلاث التي لم نعرض لها سابقاً هي ما يعرف بجبال الأنفسنا، في جنوب النيل الأزرق، أو على مدخله إلى أراضي السودان من حيث الحدود الأثيوبية، وجبال النوبة، المحاذية

لمنطقة أبيي شمالاً، التي تشكل الأخيرة حلقة الوصل لها مع الجنوب. ثم منطقة النوبا المعروفة في شمال السودان وجنوب مصر والواقعة على الحدود فيما بينهما وتوغل في البلدين جنوباً وشمالاً. الاثنتان، الأنفسنا وجبال النوبا، التي يقطنها النوباويون، المختلفون عن النوبيين، شهدتا، كما هو معروف، تمرداً عسكرياً، أما الثالثة، أو بلاد النوبة فاقتصر الأمر، كما أشرنا ووصفنا، على نوع من التمرد الثقافي، وتنفرد عن سابقتيها بأن تململها الثقافي لا زال مستمراً، وإن خبت جذوته قليلاً من جراء اختلاف حال العوامل المؤثرة الأخرى المشار إليها بدايةً... وحيث لا اتفاقات أو حلول تمت مع المركز، وذلك لاختلاف طبيعة المسألة وظروفها وحجمها أو تأثيرها، أو موقعها وترتيبها في أولويات صراع هذا المركز مع أطرافه، وليس لعدم جديتها... ولنعرض لهذا البؤر الثلاث واحدةً واحدة: تقطن منطقة جنوب النيل الأزرق مجموعات عرقية أربع هي الفونج والعرب والأنفسنا والمابان، الأولى زنجية مسلمة وتشكل مع العرب المسلمين الغالبية السكانية، والاثنتان الباقيتان هما زنجيتان وثنيتان. وتاريخياً شهدت المنطقة ما عرف بمملكة الفونج، هؤلاء الذين كانوا بتحالفهم مع العرب المعروفين بالعبيد اللاب ضد الممالك النوبية المسيحية قد حسموا عروبة السودان، أما التمرد فقد بدأ فيها عندما أسس جون غرنق زعيم حركة التمرد الجنوبية فرعاً لحركته في المنطقة، أطلق عليه وارتو، أو مربع الحرب الثاني، وساعده على هذا تواجده على مقربة حيث الطرف الأثيوبي للحدود، الذي وفرته له سياسة أديس أبابا الداعمة والراعية لحركته في حينه، إبان نظام منغستو هيلا مريم، ليسهم سقوط نظامه فيما بعد، واتفاق نيفاشا لاحقاً، في عزل هذه البؤرة وساعد على خبوها، وحيث اكتفى هذا الاتفاق بإعطائها وضعاً خاصاً في حالة اختار الجنوب الانفصال في الاستفتاء المنصوص عليه في نهاية المرحلة الانتقالية المقترنة. أما جبال النوبا، فهي مزيج من قبائل زنجية وعربية غالبيتها مسلمة، إلى جانب أقلية مسيحية وأخرى وثنية، ويقطن النوباويون المناطق الجبلية المرتفعة التي يشهد وسطها وجنوبها حالة التمرد، أما العرب من قبائل المسيرية والزريقات والحوازمة، المعارضون للتمرد، فيقطنون السفوح المحيطة. أما بوادر التمرد فنشأت عندما أسس الأب فيليب عباس غبوش حركة قومية اجتماعية وقادها، أطلق عليها الحزب القومي السوداني، ومن المعروف أن النميري حاكم السودان في حينه قد حكم عليه بالإعدام ثم عفا عنه، وبعدها نشأت حركة ذات نزوع يساري أطلق عليها اتحاد جبال النوبا، بيد أن الحالة شهدت تطورها اللاحق عندما اعتمد جون غرنق على اليسار والوسط المسيحي في إنشاء فرع لحركته هناك، أو ذات الأمر الذي فعله في جبال الأنفسنا، وكان بقيادة يوسف كوه مكي، انقسم فيما بعد إلى قسمين، أحدهما ظل موالياً لغرنق بقيادة مكي، والآخر انحاز إلى جانب الحكومة المركزية بقيادة محمد هارون كافي. كما، شهد هذا التمرد مثله مثل مثيله في جبال الأنفسنا خاتمة نيفاشية أيضاً، حيث رسمت الاتفاقية مع الجنوبيين وضعاً خاصاً لجبال النوبا مشابه لجبال الأنفسنا، كما أسهم في مثل هذه النهاية أن المنطقة برمتها يحول بينها والجنوب محيط بدوي عربي ليس في وارده قبول مساومة على وحدة السودان وعروبته وإسلامه. أما البؤرة الأخيرة، ذات السمة الثقافية، فهي بلاد النوبا شمالي السودان أو المنطقة التي تشطرها الحدود السياسية الراهنة للقطرين السوداني والمصري، حيث تعيش في الطرف السوداني ثلاث مجموعات نوبية تعددت لهجاتها المنتمية للغة واحدة وثقافة واحدة ضاربة الجذور في التاريخ، هي: الدناقلة جنوباً، والسكوت - المحس وسطاً، والفيدجا في أقصى الشمال، والأخيرة ثلثاها على الجانب المصري من الحدود. ويقال إن المشكلة قد بدأت في مصر، حيث لعهود لم يعرفها السودان، بل إن المهدي الذي تنسب له الثورة المهدية ذات الأثر البعيد في التكوين السوداني الراهن، وامتداداتها الموروثة المتمثلة في حزب الأنصار بقيادة زعيمة الحالي الصادق المهدي، هو نوبي، وأن عبد الله الخليل أول رئيس للسودان بعد الاستقلال والرئيسين العسكريين إبراهيم عبود وجعفر النميري هم نوبيون دناقلة، وتقليدياً يظل حوالي نصف مجلس الوزراء السوداني وكبار الضباط نوبيين. ومجموعة الدناقلة تتسم راهناً بتوجهها الإسلامي إلى جانب وجود نفوذ تقليدي للمهدية لا زال فاعلاً. إلى جانب تيار يساري يمثله الحزب الشيوعي السوداني يتوزع تأثيره هنا وهناك في سائر مناطق النوبة. من هنا، يمكن القول، إنه لا مشكلة سياسية هنا، بقدر ما هي ثقافية تخبوية، مصدرها حركة إحياء ثقافي قديمة عابرة للحدود ناشطة على طرفيها المصري والسوداني يقتصر تأثيرها على النخبة ورهن وسطها المنادي بالتركيز على الثقافة النوبية التاريخية، بلغت حدتها بإنشاء حركة كوش ذات النزعة القومية الاجتماعية التي أسسها زعيمها الدكتور تيسير العضو في حركة غرنق، وبتشجيع من الأخير للهدف إياه فتح جبهة مساندة لتمرده الجنوبي في الشمال، بيد أن الكوشيون هؤلاء ناوا بأنفسهم فيما بعد عن غرنق بعيد اتفاق نيفاشا، الذي لم يلحظ أي وضع لهم في السلام الموعود، واكتفوا بالتركيز على إحياء الثقافة النوبية التاريخية، لكن خطورة مثل هذه الظاهرة المتلطية وراء الثقافة الموروثة، تكمن في كونها تلاقي رعاية ودعماً غربياً كبيراً، فيه لمسة توراتية تتسم بنظرة شبيهة بالنظرة إلى الأشوريين، تتحدث عن ما يدعى مملكة كوش التوراتية النوبية المعروفة في العبرية بـ«كوشيم»! ... وأخيراً، لا بد من الإشارة إلى أنه بتركيزنا على الأخطار التي تتهدد سودان العرب بما يعنيه للأمة العربية موقعاً ودوراً، أو دقنا لجرس الإنذار عبر المقالات الأربع التي نأتي هنا إلى آخرها، لا يعني أبداً انتفاء تفاؤلنا بنجاح السودان في اجتياز عواقب مثل هذه الأخطار وتغلبه عليها، لا سيما وأن نسيج هذا البلد المتعدد المتنوع لا تنظم عقده إلا عروبته الغالبة وإسلامه العميق، ولا تصوغ تكوينه وتؤطره وتعطيه هويته وتحميها إلا ثقافته العربية الإسلامية الراسخة. وعليه، فلا خيار له إلا حفاظه عليها كضرورة. وباستثناء أم مشاكله في الجنوب وراهنتها، فإن سائر المشاكل الخمس تظل في حكم الهامشية على تفاوت خطورتها وعلاقتها بهذه المشكلة الأم، ويظل مصيرها محكوم بالحل. لكن السؤال يظل هو السؤال: وماذا يفعل العرب أو سوف يفعلون لحماية سودانهم من أخطار التشرذم المبيت الذي يسعى أعداء الأمة مجتمعين له؟ متى ينظرون بجدية أكثر لمشاكل السودان؟ هل لهم أن يحاولوا فهمها أو دراستها بعمق قبل اتخاذ مواقفهم السياسية المطلوبة حيال ما يجري هناك؟ وباختصار، ما مدى إحساسهم بمسؤوليتهم إزاء ضرورة الإجابة على كل هذه الأسئلة؟

... هنا، يوسفنا التذكير بمفارقة مؤلمة، وهي أن بعضاً من قوات غرنق المتمردة، في مرحلة من المراحل التي كان يرفع فيها راية ماركسية، ويقيم أوسع العلاقة مع الصهيونية، ويتلقى الدعم من الكنائس التبشيرية الغربية، قد تلقت تدريباتها القتالية في ما كان اليمن الديموقراطي قبل الوحدة اليمنية... وأن المتمردين تمكنوا في مرحلة من الحرب من إسقاط عشرات الطائرات السودانية باستخدامهم المفاجئ حينها لصواريخ سام سبعة عربية المصدر!

Digitized by Birzeit University Library

الباكستان والصراع في وزيرستان الجنوبية: بقعة الزيت الطالبانية المنتشرة وسيناريوهات الصراع الباكستاني-الباكستاني.

سيد حسن سيد

بدأت القوات المسلحة الباكستانية تنفيذ عملية عسكرية واسعة النطاق ضد منطقة وزيرستان الجنوبية، وذلك ضمن مؤشر يفيد لجهة نوايا السلطات الباكستانية الرامية إلى القضاء على حركة طالبان الباكستانية أو على الأقل إضعافها بما يجعل منها مجرد مجموعة صغيرة من المسلحين، المبعثرين هنا وهناك، وغير القادرين على القيام بتشكيل تهديد حقيقي للنظام الباكستاني.

مسرح وزيرستان الجنوبية: الخصائص العامة

تقع وزيرستان الجنوبية، ضمن شريط مناطق القبائل الباكستانية الذي يمتد منحصراً بين محافظة التخوم الشمالية الغربية الباكستانية، وشريط الحدود الباكستانية-الأفغانية، هذا وتتضمن منطقة القبائل الباكستانية، سبع إمارات تتمتع بالاستقلال الذاتي عن الحكومة المركزية الباكستانية، وتوجد وزيرستان الجنوبية في نهاية الطرف الجنوبي لمنطقة القبائل، بحيث تطل من الناحية الشرقية على محافظة التخوم الشمالية الغربية، ومن جهة الشمال على إمارة وزيرستان الشمالية، ومن جهة الغرب على أفغانستان، أما من جهة الجنوب فتطل على منطقة بلوشيستان الباكستانية.

سكان وزيرستان الجنوبية من أتنية الباشتون ذات التوجهات الإسلامية السنية السلفية المحافظة، وينقسمون إلى مجموعتين، هما «المحسودية» و«الوزيرية». وبالنسبة للغات السائدة، فهي لغة الباشتو، التي يتحدث بها السكان الباشتون الموجودون في باكستان، وأيضاً الباشتون الموجودون في أفغانستان، ولغة الأردو التي تمثل لغة السوق في باكستان، وبدرجة أقل اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن والإسلام، وأيضاً اللغة الإنجليزية باعتبارها لغة التعليم في باكستان.

يبلغ عدد سكان وزيرستان الجنوبية حوالي ٨٠٠ ألف نسمة، بحسب التقديرات الإحصائية، وتبلغ مساحة وزيرستان الجنوبية ٦٦١٩ كيلو متراً مربعاً، أما تاريخها فيعود إلى عام ١٨٩٣م، عندما وجدت السلطات البريطانية أن السيطرة المباشرة على وزيرستان الجنوبية وبقية مناطق شريط منطقة القبائل غير ممكنة، بسبب طبيعتها الجبلية الوعرة، إضافة إلى مقاومة سكانها المتزايدة للبريطانيين، الأمر الذي دفع السلطات الاستعمارية البريطانية إلى التخلي عن فكرة تمديد سيطرتها على هذه المناطق، وفي عام ١٩٤٧م، عندما نالت باكستان استقلالها، أعلنت السلطات الوطنية الباكستانية اعترافها لمناطق القبائل بحق الحكم والاستقلال الذاتي، وبالفعل، وبسبب قوة حضور المشاعر الإسلامية السنية السلفية، فقد أعلن زعماء كل منطقة عن استمرار نظام الإمارة الإسلامية كأساس للإدارة والحكم، مع الاعتراف باعتبار أمير منطقة بيجاور أميراً إسلامياً عاماً على كل أمراء مناطق القبائل الأخرى.

خلفيات الصراع الجاري:

سعت الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها، إلى استخدام مناطق القبائل الباكستانية لجهة القيام بدور «المنطقة الخلفية»، خلال فترة الحرب الأفغانية-السوفيتية، وظلت هذه المناطق تمثل الملاذ الآمن للفصائل الإسلامية الباكستانية التي قاتلت القوات السوفيتية، وظلت هذه الفصائل الأفغانية تتلقى الدعم الأمريكي عن طريق مناطق القبائل ويدعم وتأييد الحكومة الباكستانية، وقاتل أمراء منطقة القبائل بقوة إلى جانب الفصائل الأفغانية خلال الحرب ضد السوفيتي، ولاحقاً بعد انسحاب القوات السوفيتية، واندلاع الحرب بين الفصائل الأفغانية، فقد لجأ السكان الباشتون الموجودون في مناطق القبائل إلى دعم حركة طالبان الأفغانية التي تكونت في أوساط الباشتون الأفغان وعندما نفذت القوات الأمريكية عملية غزو واحتلال أفغانستان في تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠١، انسحبت عناصر حركة طالبان الأفغانية، وعناصر تنظيم القاعدة، وبقية حلفاء حركة طالبان الأفغانية إلى مناطق القبائل الباكستانية حيث وجدوا الملاذ الآمن والدعم، فأعادوا تنظيم صفوفهم، واستطاعت حركة طالبان أن تعود وهي أكثر قوة وقدرة على الاستمرار في المعارضة المسلحة، على النحو الذي ألحق الخسائر بالقوات الأمريكية وحلفائها، إضافة إلى قوات حلف الناتو.

في سياق مجرى تصاعد مقاومة حركة طالبان

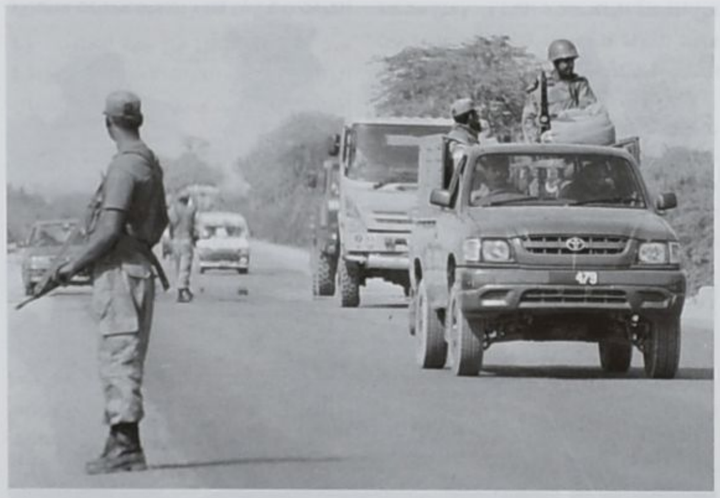

الأفغانية المسلحة، تغيرت وتبدلت الأوضاع، وكان من أبرز المؤشرات على ذلك:

- تبدل خارطة التحالفات داخل الساحة الأفغانية، بحيث أصبحت حركة طالبان أكثر نفوذاً في أوساط السكان المحليين، وتمددت شعبيتها باتجاه مناطق شمال أفغانستان، التي كانت تحت نفوذ وسيطرة حركة تحالف قوات الشمال.
- تبدل خارطة التحالفات داخل الساحة الباكستانية، بحيث أصبح الرأي العام الباكستاني أكثر معارضة للحكومة الباكستانية الحليفة لأمريكا، وأكثر تأييداً لحركة طالبان الأفغانية.

على خلفية تبدل خارطة التحالفات، استطاعت حركة طالبان الأفغانية تحقيق المزيد من الاختراقات الرئيسية من الساحة الباكستانية، والتي كان من أبرزها:

- بناء التحالفات والروابط الإستراتيجية مع أمراء مناطق القبائل الباكستانية الممتدة على طول الحدود الباكستانية-الأفغانية، الأمر الذي أتاح لحركة طالبان الأفغانية المزيد من هامش المناورة وحرية الحركة القتالية العابرة للحدود.
- بناء حركة طالبان الباكستانية، ضمن محورين على أساس الخطوط الأثنية الباكستانية، بحيث برزت حركة طالبان الباكستانية (الباشتونية) والتي مددت نفوذها في المناطق الموازية لمناطق القبائل إضافة إلى المناطق الداخلية الباكستانية المتاخمة له، ومن أبرزها محافظة التخوم الشمالية-الغربية، وبرزت حركة طالبان الباكستانية (البنجابية) في أوساط السكان البنجاب الذين يشكلون الأغلبية في وسط وجنوب باكستان.

هذا، وقد أتاح ظهور حركة طالبان الباكستانية المنظم في المناطق الباشتونية والمناطق البنجابية، تحقيق المزيد من الإنجازات في الساحة الباكستانية.

- توسيع التحالف مع الحركات الإسلامية الباكستانية الأخرى بشقيها المسلح والسياسي.
- تنفيذ المزيد من العمليات العسكرية في الساحة الباكستانية، ومن أبرزها، استهداف خطوط إمداد القوات الأمريكية وقوات حلف الناتو.
- تشديد الضغوط السياسية على النظام السياسي الباكستاني، مما أدى إلى إثارة القطيعة المتزايدة بين السلطات الباكستانية والرأي العام الباكستاني.

تزايد نفوذ حركة طالبان الباكستانية بشقيها الباشتوني والبنجابي، إضافة إلى تزايد نفوذ حلفائها مثل عسكر طيبة، وجماعة إنفاذ الشريعة، وتواتر ظهور الحركات الإسلامية المسلحة في الساحة الباكستانية بشكل واسع، فقد بلغت في باكستان وحدها حوالي ٤٠ حركة إسلامية أصولية شبه مسلحة، وامتد تزايد هذه الحركات إلى منطقة كشمير المتنازع عليها، فبلغت ٣٤ حركة، ووصلت الظاهرة إلى شمال الهند، والتي وصل عدد الحركات الإسلامية المسلحة فيها إلى ٣٥ حركة.

هذا، وتجدر الإشارة إلى أن جميع هذه الحركات ترتبط بطريقة أو بأخرى بحركة طالبان الأفغانية وتنظيم القاعدة اللذين أصبحا يقومان بدور البوتقة الأساسية التي تتحكم وتسيطر على منظومة كل هذه الحركات، والتي أصبحت فعاليتها تهدد بإشعال كل منطقة شبه القارة الهندية، وتزايدت مخاوف الأمريكيين والإسرائيليين من تزايد احتمالات صعود هذه الحركات إلى السلطة في إسلام أباد، بما يتيح لها السيطرة على القدرات النووية الباكستانية..

محفزات الصراع الباكستاني-الباكستاني:

سعت باكستان خلال فترة ما قبل أحداث الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١م، إلى احتضان ورعاية الحركات الإسلامية المسلحة، وذلك ضمن خطة استخدامها لجهة الآتي:

- إضعاف السيطرة الهندية على إقليم كشمير.
- استخدامها بما يتيح زعزعة استقرار الهند.

ولكن، وبعد أن أكملت القوات الأمريكية عملية غزو واحتلال أفغانستان، أصبحت الحركات الإسلامية أكثر معارضة ليس للسيطرة الهندية على إقليم كشمير، وإنما للوجود العسكري الأمريكي في أفغانستان، وللحكومة الباكستانية الحليفة. وعلى هذه الخلفية برزت المفاعيل الآتية:

- الضغوط الأمريكية على الحكومة الباكستانية من أجل القيام باستخدام الجيش الباكستاني ضد الحركات الإسلامية الباكستانية المسلحة.
- الضغوط الهندية على الحكومة الباكستانية، من أجل القيام باستخدام الجيش الباكستاني ضد الحركات الإسلامية الباكستانية والكشميرية.

ومن جهة تزايدت الضغوط الأمريكية على إسلام أباد بعد نجاح حركة طالبان الباكستانية بشقيها الباشتوني والبنجابي، من القيام بتوجيه المزيد من الضربات العسكرية ضد خطوط إمداد القوات الأمريكية وقوات حلف الناتو، أما من الجهة الأخرى، فقد تزايدت الضغوط الهندية على إسلام أباد وتحديداً بعد نجاح حركة عسكر طيبة من القيام بتوجيه ضرباتها ضد مبنى البرلمان الهندي، وضد مدينة مومباي، إضافة إلى توجيه العديد من الضربات الأخرى في إقليم كشمير وأيضاً في المناطق الهندية الأخرى..

احتدمت الخلافات في أوساط النخبة السياسية الباكستانية الحاكمة، ويمكن الإشارة إلى ذلك على النحو التالي:

- الحكومة الباكستانية وجدت الكثير من الصعوبات إزاء التداعيات المحتملة المترتبة على القيام بتنفيذ العمليات العسكرية ضد

Digitized by Birzeit University Library

الحركات الإسلامية الباكستانية المسلحة.

- البرلمان الباكستاني، حدثت فيه المزيد من الخلافات، بسبب معارضة عدد كبير من النواب الباكستانيين والذين كان بعضهم أكثر دعماً وتأييداً للحركات الإسلامية، وكان بعضهم الآخر أكثر خوفاً من احتمالات فقدانه للسند الشعبي والذي سوف لن يؤدي سوى إلى فقدانه المقعد البرلماني.

- المخابرات الباكستانية، ظلت تعارض بشدة تنفيذ أي عملية عسكرية واسعة النطاق ضد الحركات الإسلامية المسلحة، وذلك لأن المؤسسة الأمنية الباكستانية ظلت تعتمد على هذه الحركات في ردع الوجود الهندي في كشمير، وتنفيذ العمليات السرية ضد الهند.

- الجيش الباكستاني، ظل يرفض ويعارض بشدة تنفيذ أي عملية عسكرية ضد الحركات الإسلامية المسلحة، وذلك لأن تصعيد العمليات العسكرية قد يترتب عليه حدوث انقسام كبير داخل الجيش، وذلك لأن عدداً كبيراً من الجنود ينتمون إلى أثنية الباشتون.. الأمر الذي يعزز المخاوف إزاء احتمالات انشقاق عدد كبير من الجنود والانضمام إلى أهلهم وذويهم في المناطق الباشتونية.

- المنظمات المدنية الباكستانية، بسبب سيطرة الإسلاميين على النقابات والاتحادات الباكستانية، فقد ظلت هذه المنظمات والاتحادات ترفض وتعارض توريط الجيش الباكستاني في أي عمل عسكري ضد الحركات المسلحة الإسلامية.

أدى ازدواج الضغوط الأمريكية والهندية مع وجود الخلافات الباكستانية-الباكستانية إلى انتقال عدوى الخلافات السياسية بشكل عابر للحدود، فمن جهة سعت الهند إلى التحالف مع واشنطن، وعقد المزيد من التطلعات إزاء طموحات قيام نيودلهي بدور الشريك الرئيسي لواشنطن في حرب أفغانستان، وفي مشروع الحرب الأمريكية ضد الإرهاب في بقية أنحاء القارة الآسيوية، وبالمقابل سعت الصين إلى بناء وتعزيز الروابط مع باكستان، في إشارة واضحة إلى أن بكين سوف تتخذ من باكستان شريكاً إستراتيجياً إذا تخلت واشنطن عن إسلام أباد وتحولت باتجاه نيودلهي..

سيناريو الصراع الباكستاني-الباكستاني:

التدقيق الفاحص في تقاطعات الصراعات المحتدمة في منطقة شبه القارة الهندية، يوضح مدى عمق تداخل الصراعات، فالصراع الباكستاني-الباكستاني يتداخل بشكل وثيق مع الصراع الأفغاني-الأفغاني، والصراع الأفغاني-الأمريكي، والصراع الهندي-الهندي، والصراع الهندي-الباكستاني، والصراع الهندي-الصيني.

استخدمت واشنطن، مذهبية مثيرة للاهتمام، في إدارة الصراع الباكستاني-الباكستاني، ضمن سيناريو يتضمن الخطوط الآتية:

- الضغوط على العناصر الأصولية لجهة تجميعها في منطقة واحدة، تمهيد للقضاء عليها أو حصرها جغرافياً.

- الضغوط على الحكومة الباكستانية من أجل المشاركة في الجهود العسكرية الأمنية.

- الاستخدام المزدوج لأسلوب الضغط الذي يجمع بين استخدام القوة العسكرية، والقوة اللوجستية في توجيه التطورات والوقائع الميدانية.

يشير الأداء السلوكي للسيناريو الباكستاني إلى أن تفعيل حركيات المسرح الباكستاني، أصبحت أكثر تكاملاً لجهة الجمع بين الآتي:

- مفاعيل الخطوط الخارجية:

- تقديم واشنطن لحزمة مساعدات أمريكية لباكستان بلغت ٧,٥ مليار دولار، وقد أصدر الكونغرس الأمريكي القانون الخاص بذلك.

- نجحت جهود واشنطن في الجمع بين الحكومة الهندية، والباكستانية، لجهة القيام بالتعاون المشترك من أجل القضاء على خطر الحركات الأصولية الإسلامية.

- نجحت واشنطن في تهديد باكستان، على أساس اعتبارات أما أن تتعاون إسلام أباد مع واشنطن، أو أن واشنطن سوف تلجأ إلى خيار التعاون مع أوزبكستان المجاورة لأفغانستان من جهة الشمال..

مفاعيل الخطوط الداخلية :

- وجهت واشنطن الضربات الجوية التي استهدفت زعماء، وكبار رمز الحركات الإسلامية.

- سعت واشنطن إلى تقديم التدريب والعتاد لقوات الجيش الباكستاني وأجهزة الأمن الباكستاني.

- سعت واشنطن إلى التفاهم مع بعض رموز الحركات العلمانية الباكستانية.

وإزاء احتدام هذه المفاعيل، تحركت قبل بضعه أشهر حركة طالبان وحلفاؤها، واستولت على محافظة وادي سوات، وأعلنت تحويلها إلى «إمارة إسلامية».. وإضافة إلى ذلك تعمد زعماء الحركة بالاستيلاء على المحافظات الباكستانية الأخرى وتحويلها بنفس الطريقة إلى «إمارات إسلامية»..وقد ترتب على ذلك تزايد الشعور بالخطر من أوساط النظام الباكستاني.. وجه الخصوص إزاء استهداف رموز وأجهزة السلطة الباكستانية، فقد تم شن المزيد من الهجمات والتفجيرات الانتحارية في معظم المدن الباكستانية الرئيسية، وعلى وجه الخصوص العاصمة إسلام أباد، إضافة إلى روا البندى التي تمثل العاصمة العسكرية، ولاهور التي تمثل الميناء وتشير الوقائع إلى أن الخلافات سوف تنتقل إلى داخل صفوف

المؤسسة العسكرية والأمنية، إضافة إلى حدوث المزيد من عمليات الفرز والاستقطاب السياسي، والذي-كما يقول الخبراء- سوف يكون لصالح تعزيز مساندة ودعم السكان المحليين للحركات المسلحة الإسلامية، وذلك على النحو الذي سوف يعزز قدرات حركة طالبان الباكستانية البنجابية، والتي بدأت تمارس نشاطها وفعالياتها في أوساط سكان وسط وجنوب باكستان الذين ينتمون إلى أثنية البنجاب، أسوة بحركة طالبان الباكستانية الباشتونية الناشطة في أوساط سكان شمال وغرب باكستان الذين ينتمون إلى إثنية البشتون.

- المحور الإقليمي: سوف تمتد التأثيرات العابرة للحدود، لجهة تصعيد المواجهات المسلحة في المسرح الأفغاني المجاور، وسوف لن تقتصر التصعيدات العسكرية في المناطق الجنوبية التي تسيطر عليها حركة طالبان الأفغانية، وإنما إلى مناطق شمال باكستان، والتي-كما تقول المعلومات- فقد أصبحت حركة طالبان تسيطر على ٧٥٪ منها. وبالنسبة للهند، فمن المتوقع أن تقوم الحركات المسلحة الإسلامية الهندية بتوجيه بعض الضربات ضد المصالح القريبة، والمنشآت الهندية، أما بالنسبة لإيران، فمن المتوقع أن تحدث بعض الاختراقات في منقطة بلوشيستان الإيرانية، إذا أدت معارك وزيرستان الجنوبية إلى انسحاب العناصر المسلحة الإسلامية السنية إلى منطقة بلوشيستان الباكستانية المجاورة لبلوشيستان الإيرانية..

- المحور الدولي: تقول المعلومات، بأن مصير العملية العسكرية الجارية حالياً في منطقة وزيرستان الجنوبية، سوف يلعب دوراً كبيراً في تحديد منظور الإدارة الأمريكية إزاء مستقبل التعامل مع المسرح الأفغاني والمسرح الباكستاني، وأضافت المعلومات، بأن عملية زيادة القوات الأمريكية في أفغانستان، سوف لن تقدم الإدارة الأمريكية على القيام بتنفيذها إلا بعد اتضاح الرؤية داخل باكستان، لأن هناك رأياً يقول، بضرورة تحديد أيهما أفضل: إرسال القوات الأمريكية الإضافية لباكستان، أم إرسالها إلى أفغانستان؟

تدور المعارك الحالية في منطقة وزيرستان الجنوبية، وبرغم ذلك فمن غير الممكن اعتبار هذه المعارك مجرد صراع داخلي محدود يدور في إحدى المناطق النائية الباكستانية، وذلك لعدة أسباب، من أبرزها:

- شمولية محفزات الصراع: تمثل مشكلة الصراع في وزيرستان الجنوبية جزءاً لا يتجزأ من المشكلة الباكستانية الكبرى، وهي مشكلة هوية الدولة الباكستانية، المتنازع عليها بين النخب العلمانية والحركات الإسلامية.

- الروابط الإقليمية: باكستان ليست بلداً تتطابق حدوده السياسية مع مكوناته الإثنو-ثقافية، والإثنو-عرقية، والإثنو-دينية، فسكان شمال وغرب باكستان ينتمون إلى إثنية الباشتون التي تتحدث لغة الباشتو، وإذا كان الباشتون يمثلون حوالي ٣٥٪ من إجمالي سكان باكستان فإنهم في الوقت نفسه يمثلون ٤٠٪ من إجمالي سكان أفغانستان، وتأسيساً على هذين العاملين، فإن من الصعب إن لم يكن من المستحيل للدولة الباكستانية، أن لا تصبح أراضيها مسرحاً للصراع، أو بالأحرى امتداداً للصراع الأفغاني، والذي ظلت باكستان تمثل أحد مكوناته الأساسية منذ فترة الحكم الاستعماري البريطاني.

أثرت باكستان بقدر كبير في تطورات الصراع الأفغاني، فمن جهة سعت السلطات الباكستانية إلى دعم القوات الأمريكية في غزو واحتلال أفغانستان، ومن الجهة الأخرى، سعت القوى الشعبية الباكستانية إلى دعم حركات المقاومة الأفغانية في حربها وصراعها ضد الاحتلال الأمريكي.. ومن مجرى تطورات الحرب الأفغانية، كان طبيعياً وواضحاً أن تعاكس الإدارة السلوكي الباكستاني بين طرف رسمي يدعم الاحتلال الأمريكي وطرف شعبي يدعم مقاومة الاحتلال الأمريكي، أن تنتقل الحرب إلى باكستان، وأن تتصادم الإرادة الشعبية الباكستانية مع الإرادة الرسمية الباكستانية.

- تأثيرات الصراع الباكستاني-الباكستاني: بسبب التعقيدات التي عمقت جذورها أكثر فأكثر في طبيعة الصراع الباكستاني-الباكستاني، فقد اكتسب هذا الصراع طابعاً لولبياً دائرياً، وبالتالي، فمن المتوقع أن تمتد تأثيرات هذا الصراع ضمن ثلاثة محاور، هي:

- المحور الداخلي: سوف تكتسب التناقضات الداخلية الباكستانية طابعاً أكثر عمقاً خلال الفترة القادمة، ومن أبرز المؤشرات الدالة على ذلك، قيام الحركات المسلحة الإسلامية تنفيذ العديد من العمليات العسكرية في مناطق باكستان الأخرى، وعلى الخلافات الأمريكية حول جدوى إرسال القوات الأمريكية، تعود إلى خلافات بين الخبراء العسكريين بين الأمريكيين، والتي تمحورت في الآتي:

- منظور يقول بأن إرسال القوات الأمريكية الإضافية إلى باكستان هو الأفضل، لأن هذه القوات يمكن أن تقوم بتنفيذ عمليات عسكرية ضد مناطق القبائل من جهة الجنوب.. وفي الوقت نفسه تقوم القوات الأمريكية الموجودة في أفغانستان، بتنفيذ هجومها من جهة الشمال، ومن ثم، فإن النتيجة سوف تكون القضاء على طالبان، وسيطرة القوات الأمريكية على مناطق القبائل.

- منظور يقول بأن إرسال القوات الأمريكية الإضافية إلى أفغانستان هو الأفضل، وذلك، لأن وجود القوات الأمريكية في باكستان سوف ينطوي على قدر كبير من المخاطر على النظام الباكستاني الحليف لأمريكا، وذلك لأن المعارضة الباكستانية سوف تنجح في إسقاطه، إضافة إلى احتمالات أن تنجح الحركات المسلحة الباكستانية في توسيع دائرة عملياتها، بما يورط أمريكا في مستنقع نزاع جديد..

وإضافة إلى ذلك، فقد برز رأي جديد مؤخراً، يطالب بضرورة سحب القوات الأمريكية من أفغانستان، وعدم التمادي في الحرب والتي سوف لن تودي سوى إلى إنهاك الولايات المتحدة، وجعلها تتكبد الخسائر على غرار ما حدث مع القوات السوفيتية، وقد بدأ هذا الرأي يتصاعد في الآونة الأخيرة على خلفية مذكرة الجنرال ماكريشال فإن القوات الأمريكية في أفغانستان، والتي أكد فيها للإدارة الأمريكية، بأن الحرب الأفغانية لا يمكن تحقيق النصر فيها، إلا إذا تم رفع عدد القوات الأمريكية إلى نصف مليون جندي، إضافة إلى وضع خطة للبقاء الأمريكي المستمر حتى عام ٢٠٥٠م...

جاءت العملية العسكرية الباكستانية ضد وزيرستان الجنوبية، على المستوى المعلن من أجل القضاء على المعقل الرئيس لحركة طالبان الباكستانية، ولكن، وكما تشير التطورات الميدانية الجارية، فإن نتيجة الصراع في وزيرستان الجنوبي سوف تفتح الباب أمام محتوى جديد للصراع الباكستاني-الباكستاني.. وذلك، لأنه في كل الأحوال، فإن اشتعال بلوشستان سوف يكون هو السيناريو الأكثر احتمالاً..ولما كانت بلوشيستان تتكون من ثلاثة مسارح: بلوشيستان الباكستانية-بلوشيستان الأفغانية -بلوشيستان الإيرانيه.. فإن ثمة احتمالاً لخطر إشعال الحريق الإقليمي الباكستاني -الإيراني-الأفغاني.. وهو الصراع الذي إن اندلعت نيرانه.. فإنه سوف يقضي على كل توازنات الصراع الجاري في شبه القارة الهندية...

Digitized by Birzeit University Library

القدس - الأقصى

مقاربة غير سياسية وهادئه

جمال الدين الخضور

ليست القدسُ مكاناً جغرافياً محدوداً بسوار وديانها وجبالها، وليست فلسطين خارطةً جغرافيةً مرسومةً من رفح إلى الناقورة ومن النهر إلى البحر، إنها امتدادٌ لذاكرة عميقة عمق التاريخ المكتوب، وبامتداد يسبقهُ لآلاف السنين.

والذين يحاولون الاشتغال على الأوهام الأيديولوجية والميثولوجية إن كانوا من شعبة المطبّعين في القافلة الأوسلوية، أو كانوا من ركائز الفكر الصهيوني، يقدّمون الصراع بصورة افتراضية، لنزع عنصر الذاكرة والمخيال والخيال من منظومة العقل العربي (الشعبي طبعاً) ولذلك فهم يشتغلون بالتعاون والتعاضد والتضامن من (نسق مخاتير أوسلو/ أزلام دايتون/ ومحاول المشروع الصهيوني) على ضرب عناصر التاريخ وسحق عناصر الجغرافية.

من هنا تبدو علاقة الاختراق في المكان-في الجغرافية هي المقدمة الأولى لما يلي ذلك من اختراق وتحطيم الزمان والتاريخ. وهذان الأخيران منعقدان في الخيال الجمعي وفي المخيال والذاكرة المجتمعيين.

فالاحتلال الصهيوني لفلسطين هو اختراق للمكان، مقدمةٌ تمّت على مرحلتين، الأولى عام ١٩٤٨ والثانية عام ١٩٦٧. وكان لا بد للاختراق الجغرافي أن يلازمه اختراق على مستوى الزمن والتاريخ. علماً أن ما يخص القضية الفلسطينية، فإن مقدمة الاختراق التاريخي كان سبّاقة، من خلال الطرح الأيديولوجي لليهودية والتوراة والأسفار والإسرائيليات، وهمٌ مبنيٌ على وهم ونفاق يتراكب مع نفاق، وتزوير يتلو اختلاق... منظومة كاملة من السرقات والأوهام والاختلاق والنفاق أدخلت في منظومة الثقافة على عبث الافتراضات الوهمية، أوالأحلام الافتراضية، والافتراضات الإيمانية التي تحتاج إلى الكثير من التمزيق والمواجهة.

ضمن نسيج هذه المواجهة المعقدة والدامية تُصاغ سلطة فيشي الفلسطينية لتشكل حلقة الوصل بين النفاق الأيديولوجي على حلقتيه (الحلقة الصهيونية والحلقة الغربية-الأورو-أمريكية) متواشجةً ومترابطةً مع دور النظام الرسمي العربي، الذي ارتبط استمرار وجوده بوجود الكيان الصهيوني.

وفي المقابل لم تستطع قوى المقاومة الفلسطينية، مدعومة بقوى المقاومة العربية (المشتتة أصلاً) كسر التوازن السياسي والعسكري الموجود لصالحه. فالافتراض الديني المطروح أساسُ كوجه أيديو-سياسي، هو الذي يقدّم المبررات لعصابة النازيين الصهاينة في الكيان الصهيوني لطرح يهودية الكيان، مما يعني بالضرورة أن العودة إلى طرح القضايا من وجهة نظر المدّ القومي العربي كحالة معرفية وأيديو-سياسية، هو البديل للافتراضات الكبرى الوهمية التي تدمج كل قوى الرجعية العربية (الإسلاموية الشكل) مع البوسنة والهرسك (يرجى العودة إلى موقف هذه الأخيرة من تقرير غولدستون). فالمسجد الأقصى وقدسيته بحدّ ذاتها لم ينالا تلك الرمزية التاريخية في المقدّس زماناً ومكاناً، لأن الإسلام قدم إلينا من القطب الشمالي، بل لأنه عربي الطقس والجوهر والتوحيد، ولأنه كان أرقى أشكال ظهور العروبة معرفياً. لذلك، فإن إحدى أهم أدوات الكيان الصهيوني في توجيه الصراع تحويله من صراع وجود، صراع احتلال استيطاني مع مقاومة متجذّرة في أرضها إلى صراع ديني.

حتى أنّ الذاكرة العربية تمتد بعيداً بعلاقاتها بالقدس "فسفينة نوح طافت بالبيت الحرام أسبوعاً، ثم طافت ببيت المقدس أسبوعاً ثم استقرت على الجودي" /ابن الجوزي أبو الفرج بن علمي، فضائل القدس. بتحقيق جبرائيل سليمان جبور، دار الآفاق الجديد، بيروت ١٩٧٩، ص ٧٩/. كما كانت القدس قبلة جميع الأنبياء "فلم يبعث الله منذ هبط آدم على الأرض نبياً إلاّ قبلته صخرة بيت المقدس" / محمد حبش، سيرة رسول الله، دمشق ١٩٩٣، ص٤٣/.

وعن فضل بن عياض يقول: "لما صُرفت القبلة (إلى البيت الحرام) قالت الصخرة، "إلهي لم أزل قبلة عبادك، حتى إذا بعثت خير خلقك (النبي محمداً) صرفت قبلتهم عني؟ قال: أبشري، فإن واضع عليك عرشي، وحاشرُ إليك خلقي، وقاض عليك أمري، وناشر منك عبادي./ مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج١، دون مكان نشر ودون تاريخ ص٥٢/ والصخرة التي في بيت المقدس كانت النقطة التي عرج بها النبي (ص) إلى سدرة المنتهى.

وروي عن كعب حدثاً "لا تقوم الساعة حتى يزور البيتُ الحرامُ بيتَ المقدس فينقا وأن إلى الله جميعاً، وفيهما أهلوهما، والعرض والحساب ببيت المقدس. /ياقوت الحموي، من معجم البلدان، السفر الأول، اختيار عبد الإله النبهان، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٨٢، ص٣٧٧.

وعن عبد الله بن عمر قال: "إن السور الذي ذكره الله في القرآن : "فضرب بينهم بسور له بابٌ باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب" /الحديد:١٣/ هو سور بيت المقدس الشرقي باطنه الرحمة، أي المسجد وظاهره قبله العذاب، وادي جهنم.

وجميعنا يعرف مواقع ولادة المسيح (ع) وقيامته، والدور المكاني الذي لعبته فلسطين والقدس في الرسالة المسيحية، ودور الفلاسفة العرب في نشرها.

والصخرة المقدسة التي هي ياقوتة من يواقيت الجنّة، كالحجر الأسود، كانت مقدّسة أيضاً منذ المراحل الأولى لبناء القدس، فلقد كانت في موقع التقديس لدى اليبوسيين وطلائع الكنعانيين منذ نهاية الألف الخامس قبل الميلاد وبداية الألف الرابع. أولئك الذين اختاروا موقع مدينة القدس وبنوها على هضبتها لينقلوا عاصمتهم من أريحا إليها، وكان ذلك الاختيار استراتيجياً بكل المعنى المعاصر للكلمة. وسمّوها بدايةً منورتًا=مدينة النور=المنورة=الشمعة=الضوء، ثم سمّيت لاحقاً يبوس وبعدئذ=عليا=عليا=إيليا=مدينة الشمس، وعندما رممّها الملك الكنعاني سالم سُميت مدينة سالم، فالقدس.

إذن تاريخ القدس ومثله تاريخ فلسطين،

تاريخ عربي متّصل مُؤتلف متجانس. ولا دخول فيه للأوهام الصهيونية إلاّ بأذهان أصحابها، وعقول المروّجين للأيديولوجيات الصهيونية. وما الحديث عن الممالك الوهمية والحروب الضروسة، إلاّ اختلاق ونفاق وأوهام وأكاذيب.

انطلاقاً من ذلك علينا قراءة ما يفعله الصهاينة في الأرض المحتلة، في القدس وغيرها. فلقد اخترقوا الذاكرة التاريخية-الزمان الجمعي العربي، وما عليهم تالياً إلاّ اختراق المكان. وبعد أن احتلّوه لا بد لهم من إعادة صياغة الذاكرة الجمعية العربية بما يتناسب وموقعهم من اختراق المكان. أمامنا الآن مشروعان متصادمان، مشروع عربي مقاوم يعتمد على فقراء العرب وقواهم وأطرهم المعرفية والأيديولوجية والسياسية، ومشروع صهيو-أمريكي-أوروبي يعتمد على قوى الاختراق العربية التي تعمل على أشكال وهمية وافتراضية. ولهذه الأخيرة امتداداتها في قلب الواقع الفلسطيني، تمترست بدايةً خلف المظلة الوهمية لأوسلو، ثم بدأت تجرُ ذيول العمالة العلنية عبر ملاحقة المقاومة ومحاصرتها، ومحاولة سحقها بكل طيوفها. وإن اعتمدت على كثير من وسخ الخطابات المهترئة إلاّ أن اعتمادها على مرجعية دايتون، وخطابات الرقص البوشي، وامتداد المافيا العربية الاقتصادية بكل أرجل إخطبوطها، كشف ذلك الوسخ وتلك القذارة المحشوّة في معاني الممارسات والخطاب.

العدوان السافر على غزّة، وعمليات السحق والإبادة الجماعية والبيولوجية للعرب خلاله وبعده وقبله، ملاحقة المقاومة في الضفة، محاصرة الممانعة الأخلاقية والإنسانية في فلسطين التاريخية وفي الأرض المحتلة عام ١٩٤٨، الموقف من مدينة الخليل، مخيم جنين، الاعتداء على المسجد الأقصى، الجدار الفاصل، إعلان الكيان الصهيوني دولة يهودية، الطرد، النفي، السجن، الاغتيال.... كل ذلك من ممارسات الاحتلال الاستيطاني الطبيعية، ومن الغباء أن نكتشف جديداً في ذلك.

محاصرة المقاومين، ملاحقتهم وقتلهم وسجنهم، التعاضد الأمني مع العدو الصهيوني، تسليم القيادة الأمنية لدايتون، حثّ العدو على إتمام عملية السحق والإبادة في غزة، الارتهان إلى المافيا العربية بشكلها الرجعي القذر، نقل الصراع من جذره التاريخي إلى صراع اختلاق، فخلاف حول الاستيطان، من ثم نقله إلى خلاف فرعي حول الاستيطان العشوائي فقط!!! كل ذلك من ممارسات مخاتير البلديات الطبيعية، تحت الاحتلال.

ما هو غير طبيعي، ماذا فعلنا لإحراز التقدم المطلوب في صيغة المقاومة؟ ماذا فعلت لإتمام انجازات انتصاري ٢٠٠٦ وصمود غزة؟؟؟

هل نداءات الاستغاثة، والرفض الإعلامي والأدبي والثقافي كافية؟؟؟!! إنّ فلسطين من النهر إلى البحر ومن الناقورة إلى رفح وحتى مياه البحر الأحمر أرض عربية التاريخ والجغرافية والسكان منذ أكثر من عشرة آلاف عام منذ ما قبل المرحلة النطوفية "والتي قدّمت الحداثة الأولى ليكون-الحداثة الزراعية بمعقوليتها ومجتمعيتها وموضوعيتها (السمات الثلاث للباحث الياس مرقص) وقدمت عبر تطورها الكنعاني الأبجدية الألفبائية للعام، ومن ثم قدّمت كل أنبياء البشرية الموحّدين، ولكل عربي، أينما كان، الحق في زيتونة فيها، لأن أحد أجداده سكن فيها يوماً ما، وانطلاقاً من هذا الحق، عليه واجب تحريرها، كاملةً مكتملةً، وأي تنازل عن هذا الواجب سيقود بالضرورة إلى ما نشهده الآن.

أنا قبل إتلافي لـ نيقولا ديب: في جدليّة الاختلاف.. الأفكار أولاً.. الأفكار أخيراً..

أحمد علي هلال

يدون الكاتب نيقولا ديب ما عرفه، وحظي به، حتى ليصبح ما دونه سياقاً جديداً وكلمات أخرى، ربما كانت في تشرذمها تبحث عن معنى جامع، عن كلية تجمعها برؤية ما، إذن فهو يصهرها بكيمياء روحه، وذائقته، ومعرفته ليغدي لدينا نزعة فضول معرفي بامتياز، لتكتمل تجربة تأليفية باذخة، تخلق لدى متلقيها حوافز معرفية وجمالية، بمعنى أنها لا تكتفي فقط بجمال الفكرة أو المقطع، ما لم يعادل ذلك وعي؛ محايث يؤرخ التجربة، ويثير التأمل ويستدعي حقائق إنسانية بعينها، ليس الأمر محض إنتاج معرفة بالذات والعالم وبتيمات أساسية تشكّل هواجسنا، وتفصح عنها، بصدد حقائق كونية وإنسانية واجتماعية فحسب، بل ثمة ما يذهب بنا إلى إعادة إنتاج «بديهيات» بحكم ضرورتها، لكنها ستصبح مرايا تكشف عري واقع لا يفسر «بالتماهي أو التماثل» ما يعني رؤية ثمة، أرادها الأديب نيقولا ديب، لعل كثافتها وبلاغتها أنها تنجو من استظهارها لتنتج وعياً مغايراً بالمعنى النقدي والأنطولوجي، إحدى ضروراته ستتبدّى بذلك الحامل الجمالي الأثير، وبكيفية سرد ما نعرفه وما نألفه، بل إن جمالية بعينها ستكتنف الطريقة التي تقال فيها كلمات تبدو مركبة من الذائقة بامتياز ومشبعة برغبة أصيلة في منحها خلوداً، يحفظها بما تشتمل عليه من مستويات نقدية تستبطن إنتاج حقائق دالّة في سيرورة حيوات، تنفتح على نقائضها وتمائمها، بحوامل فكرية، إذ التأمل يغدو تأملاً في ذاته، لكنه أشدّ انفتاحاً على ذات عارفة لا يشغلها تفسير العالم فحسب بل السعي النبيل لتغييره، ثمة سعادة تثيرها الكلمات –الجمل-المقاطع، ستصبح وعياً جديداً يستبطن –مرة أخرى- الهاجس بعشبة الخلود، إنه هاجس وجودي يزيح انكسار «الأنا» لتبدو متبصرة في نسيجنا الاجتماعي والإنساني، يطرح الكاتب أسئلة مغايرة لها جدليتها المعرفية، الأفكار تقرأ كما تقرأ، تقرأ حدوسنا، ومستوى ما يثيره –العالم- نفسه من أفكار- الروح والجسد، والهوية، والشعر، والثقافة، والشخصية والوطن، والقيم، وسوى ذلك.

ثمة-إذن- تأسيس للمفاهيم، بطابع حواري ذي جاذبية فكرية ترتبط في فضاءات النصوص بمرجعياتها المختلفة من الفلسفة إلى الاجتماع إلى الموسسة الأناسية، صور كنصوص موازية، وما بين البصر والبصيرة يتوزع المعنى بكلية المعرفة، لا بشظايا، ومنمنماتها،

Digitized by Birzeit University Library

يقول الكاتب: «على البشر بصفتهم بشراً، أن يختاروا إما في إعادة توحيد العالم وفق معانٍ أكثر تحقيقاً للحرية الداخلية للفرد بصفته عدداً أو واحداً بقدر ما هو صفة غير قابلة للقياس، وكمعنى يتطلب التجديد الدائم حتى لا يضمحل ويندفن».

وهكذا يغدوا «للمفهوم تاريخ ومعنى» حسب الكاتب، الذي يرى من الضروري: عدم أدلجة الإحباط، والرهان على الخير في الشعوب، وعدم النزول عن الحد الأدنى من الأخلاقي، وإلا فإننا سننحدر إلى الهمجية، لذا فسوف تحضر في مدوناته عبارات مثل الإنسان، مقاومة، كيان، واللغة، وعي وحرية والشهيد، يتجه من اللايقين إلى الخلود اليقيني، وعلى الوطن أن يكون حامل لاحتمالات الكون، وإلا فاغتراب.. وليس هناك وطن فتشتد عندئذ قضية البحث عن وطن داخل الوطن أو خارجه، فمن جدل الخاص إلى جدل العام، يستثمر الكاتب وظيفة انتباهية لدى قارئه: «وعندما يقصّر الإنسان عن أن يحول الأرض إلى إطار للتمكن من الوجود ومن ثم الحضور والمعنى، فإنه يذهب ليندمج في مكان آخر، في إطار أوسع وهو الذي يحدد للجماعة إمكانية التفتح باتجاه الكون أو باتجاه الحياة، «فإسرائيل، اختراق للمكان ولإمكانية التمكن».

ينطوي كتاب «أنا قبل إتلاج» على أسئلة كثيفة تناوش المضمرات الاجتماعية والإنسانية، ويسعى بجهد تأليفي لافت إلى ما يشتق قولاً آخر لدى القارئ الذي يبحث عن المختلف، وليس المؤتلف فحسب، فطريقتنا لقول الممكن من القول واستدعاوه في شرط معرفي هي حرية منشودة، علّها تجد في ميراث البشرية القدرة على إنتاج الأسئلة، تلك الميزة غير المكتفية للكاتب نيقولا ديب ولكتابه الجاد، بأبعاده التأملية والشاعرية والحوارية التي تسائل كل مضمراتنا النسقية، لتؤلد طريقة في التفكير والتعبير، ما يعني ذكاء عبارة بعينها على أن تقرأنا كما تقرأ وعينا الجمعي، وهكذا تصبح مدونة الكاتب المتصلة بروحه ورؤيته وذائقته، جديرة بالسجال والنقاش بوصفها تعلي من شأن «الأنا» على نحو خلاق قبل أن تذوب في «النحن» وبوصف الآخر هو «أنا» بصورة ما.. كتاب يقرأ بكلية الحواس، يشيد ويؤرخ، وربما كان تاريخاً «للأنا» بشدراتها الملتقطة بكثير من الحذر والحكمة والمحبة، والدهشة والمغايرة، دون ادعاء بالاكتمال، أو خفة ما..

ندوة جماهيرية عن دور الإعلام في نمو الوعي لدى الجماهير

احتفاءً بالقدس عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٩م

أقام تجمع اللجان الشعبية من أجل العودة (ساند) في مخيم جرمانا ، وبالتعاون مع الأمانة العامة لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، ندوة تحت عنوان : دور الاعلام في نمو الوعي لدى الجماهير ، حضرها الأخ أبو فراس عضو المجلس الثوري لحركة التحرير الوطني الفلسطيني – فتح ، أمين سر إقليم سوريا ، والأخ أبو عمار أمين سر التجمع (ساند) في سوريا .

شارك في الندوة الأستاذ حمزة برقاوي أمين سر اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، الذي تحدث عن موضوع طمس الهوية الفلسطينية ، وقدم نسباً واحصائيات تدل على تغيير أسماء القرى والمدن الفلسطينية إلى أسماء عبرية الحفاظ على ، وسرقة التراث الفلسطيني ، وأكد على الدور الهام الذي يلعبه الاعلام في حياتنا اليومية ، وأن علينا أن نسخر هذا الاعلام لخدمة قضية فلسطين ، وأن نحذر من المصطلحات السياسية الجديدة التي تسيء إلى ثقافتنا ولغتنا العربية .

كما تحدث في الندوة الأستاذ مؤيد عبد القادر رئيس تحرير صحيفة الصوت العراقية ، الذي قدم شرحا واسعاً عن دور الإعلام ، وخاصة الإعلام المقاوم ضد الاحتلال الصهيوني والأمريكي ، وقال أن هناك تعتيم كبير على أعمال المقاومة العراقية ضد الاحتلال الامريكي ، وقال أننا تعلمنا من الثورة الفلسطينية وهي شهادة نعتز بها .

وفي ختام الندوة قام الأخ أبو فراس والأستاذ حمزة برقاوي والأستاذ محمود سرساوي الذي أشرف على الدورة الصحفية ، وفضيلة الشيخ عطية فياض ، بتوزيع الشهادات على الاخوة الذين شاركوا في الدورة الصحفية التي أقامها تجمع اللجان الشعبية من أجل العودة (ساند) في مخيم جرمانا بالتعاون مع الأمانة العامة لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين .

حصاد الزيتون : مقاومة التجريف الصهيوني

Digitized by Birzeit University Library

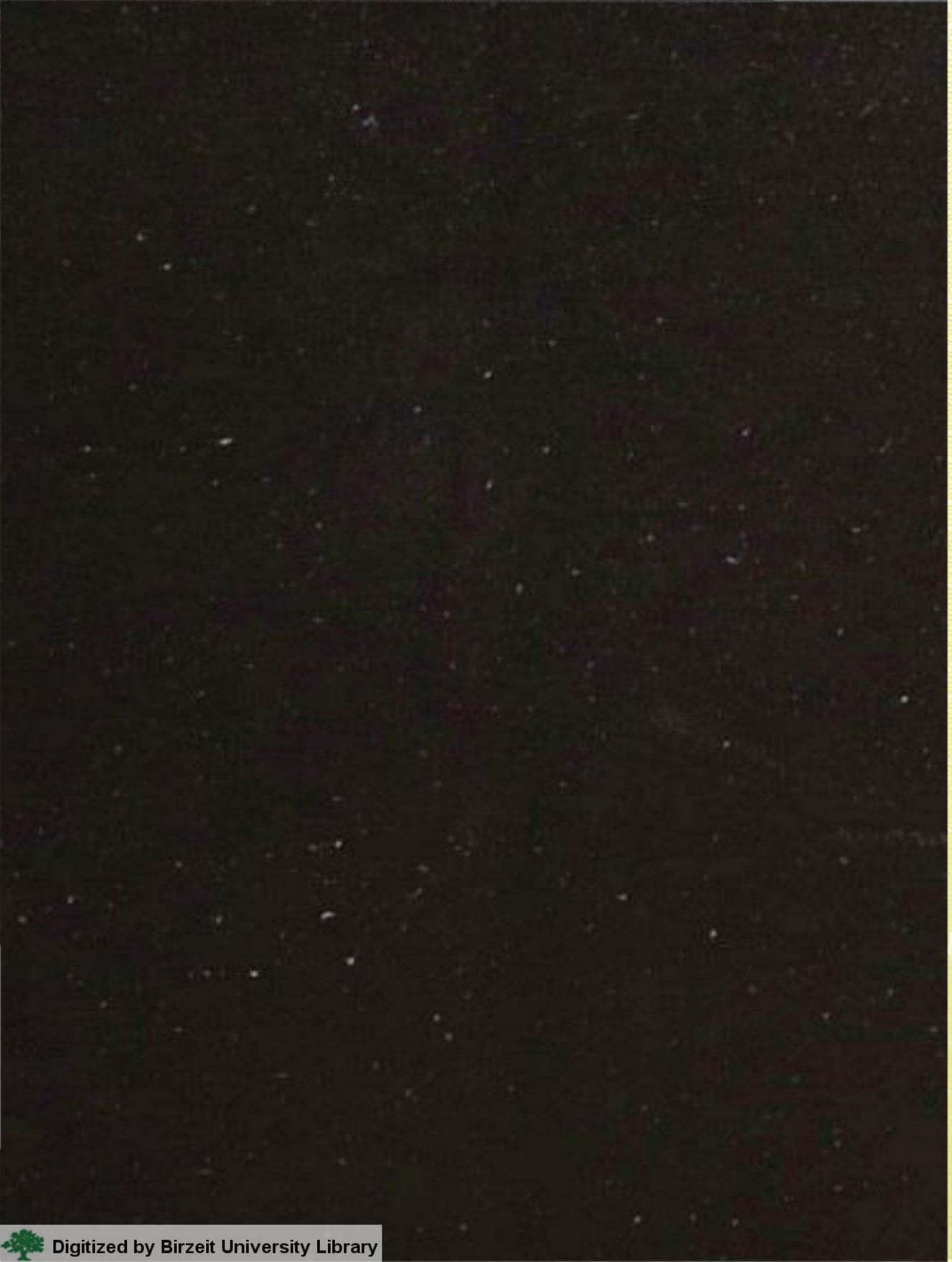

حتى نلتقي

يوم التضامن مع الشعب الفلسطيني: عندما يتضامن العالم مع ذاته

ماذا يعني التضامن مع الشعب الفلسطيني في لحظة فارقة من تاريخه الوطني والكفاحي؟! ربما مرت لحظات مشابهة، لكنها لن تكون بمثل هذه اللحظة، ربما تتكرر حلقات التاريخ، لكنها لن تكون بمثل هذه اللحظة، فثمة مقدمات كثيرة قد آلت إلى نتائج، لم تحتمها درامية الصراع فحسب، بل انكشافه بكل أبعاده وتجلياته، أي تصفية القضية، باستهداف الأرض والإنسان التاريخ والهوية، على نحو يذهب بالصراع إلى أقصى درجاته، وبمعنى آخر، فإن حبر بلفور المشؤوم الذي تجاوزه الواقع، وأكثرية الضمير العالمي وليس إجماعه على إدانة جرائم الغزو الصهيوني، في غزة، وفي فلسطين برمتها، ليس يعود بالتاريخ لمجرد مطالب، لشعب أعزل سوى من إيمانه ومقاومته في ظل الانكشاف السافر لم يتعرض له الأقصى برمزيته وتاريخه وإنسانه، يغدو التضامن ولو بالحد الأدنى، أبعد من كلمة تقال، أو مواقف طارئة، أو تذكير العالم بالهلوكوست الصهيوني الطليق، و"ماثرده" الجديد، تاريخ متصل لا يحتاج إلى إثبات، أو مزيد الشهود، ليقنع عالم غارق حد الفضيحة بالصمت والتواطؤ دون الفرائض، فالشعب كله أصبح في مرمى النيران..

ماذا يعني التضامن حقاً على بوابة ألفية جديدة من تاريخ ما تسميه التاريخ، إن العالم سيتضامن مع الذات والضمير مع عدالة قضية، مع دماء ما زالت ترسم خارطة فلسطين الأبدية، بحدودها، ومنعطفاتها، يفعل العالم معنى التضامن ليصحو ضمير كوني، لا يصالح القاتل مع الضحية، ولا يطلب من الضحية الاعتذار، التضامن، أبعد من كلمة تزهو في سطور، هو موقف دفاعي، دفاع عن الذات، لا يبحث عن الشمس في بقايا نهار أفل، حسبها الشمس واضحة بما يكفي لرجسيتها من الوضوح، كما هي الأرض تماماً، كما هو الحق، كما هو العدل الذي أصبح شريداً، كما هي القدس عاصمتنا الأبدية، وشرارة الاحتكاك الجديدة لدورة صراع أخرى، سيظل التضامن مفهوماً وواقعاً، خيط الضوء الذي يكاشف النهارات، لسنا مثخنين بالمجاز وحده لنتنبأ ظل حقيقتنا، سيظل ممكناً إذا أصبح بحجم عالم، يدرك فن اختراع الأمل، وصورة الحياة، التي يبديها اليوم — كما أبدعها بالأمس، شعب جسارته حياته وحياته جسارته في تغييبه نقص للعالم، وفي حضوره اكتمال زمنه ودفاعه الذكي عن امتداده وصيرورته نتضامن مع أنفسنا إذن.. ليظل الحق.. حقنا أبعد من كلمة.. هتاف، شديد الرهافة في كتب الأرض والسماء... مقاومة كبلاغة أخيرة بحضور شعب مقاوم..

أحمد علي هلال

Digitized by Birzeit University Library